دعاء الوالدين

بقلم

حسين العوايشة

دار ابن عفان

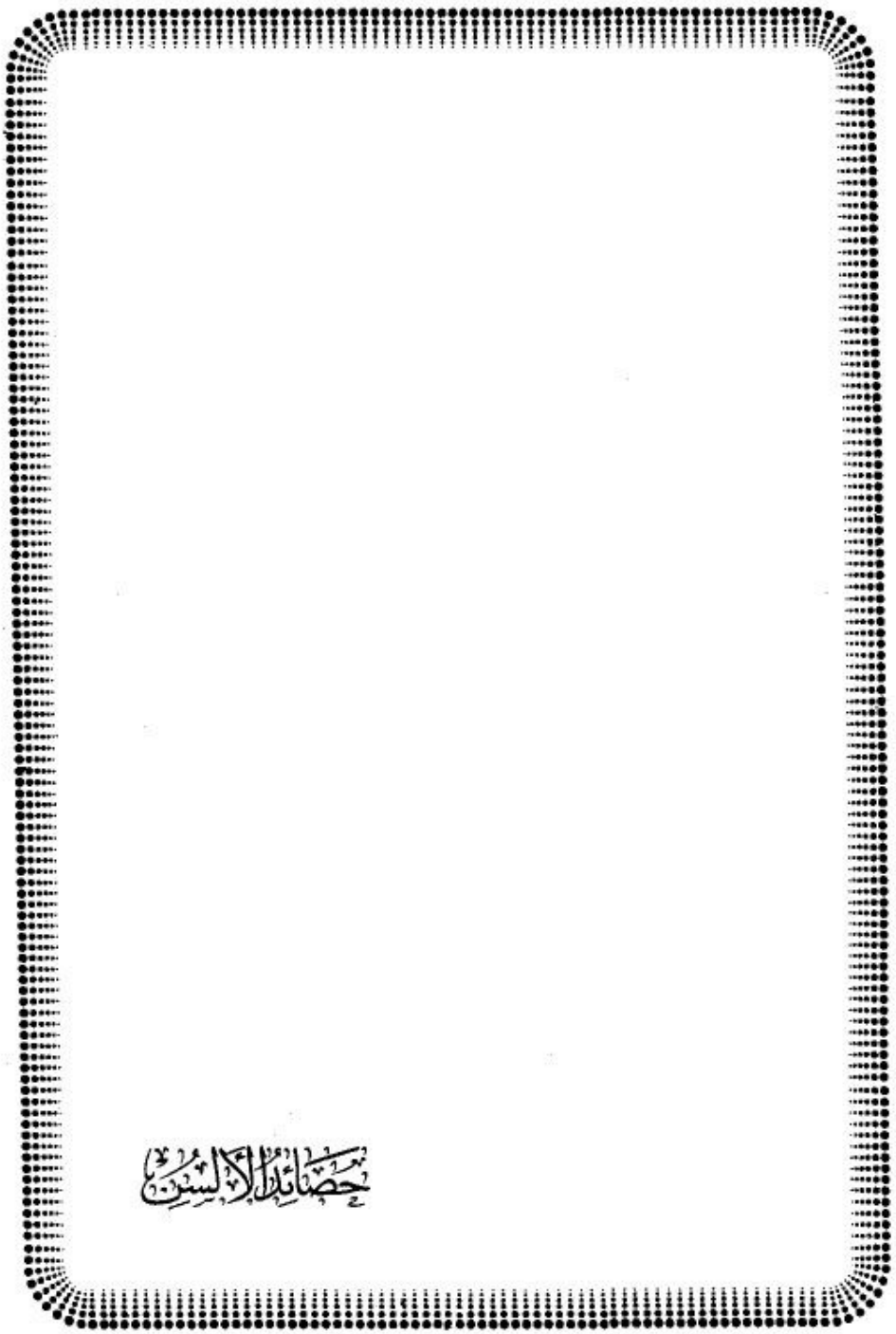
خصائص الألسن

جميع الحقوق محفوظة لدار ابن عفان للنشر والتوزيع

الطبعة الثالثة
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

دار ابن عفان للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الخبر - العقربية
شارع أبو حديرية - تقاطع الشارع العاشر
ص.ب: ٢٠٧٤٥ - رمز بريدي ٣١٩٥٢ - الثقبة - ت: ٨٩٨٧٥٠٦

خصائص الألسن

بقلم

حسين العوايشة

دار ابن عفان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمة

إنَّ الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـا أَيُّهـا الَّـذينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللهَ حَقَّ تُقـاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلاَّ وأَنْتُم مُسْلِمونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ واحِدةٍ وخلق مِنْها زَوْجَها وبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثيراً ونِساءً واتَّقوا اللهَ الَّذي تَساءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقيباً﴾(٢).

﴿يَـا أَيُّهـا الَّـذينَ آمَنُوا اتَّقوا اللهَ وقُولوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمـالَكُم ويَغْفِـرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللهَ ورَسُـولَـهُ فَقَـدْ فَازَ فَوْزاً

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

عظيماً﴾[1].

أما بعد؛ فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمَّد، وشرّ الأمور محدَثاتُها، وكل مُحْدَثَة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضَلالة في النار.

وبعد: إنّ المتأمّل في حال أمّة الإسلام يَرثي لأمرها، ويبكي لحالها، أجل؛ إنّ العين لتدمع، والقلب ليحزن، كيف لا والتّمزّق ينخر فيها، والفرقة تدُب في الصفوف، والوهن أُشْرِبَ في القلوب.

في هذا الظرف المُبكي، والوقت المؤلم، ننتظر العمل والبناء لنقيم الصرح ونُعيد البنيان ونجمع الشَّمل، ننتظر الكلمة التي تُوحِّد بين الإخوة والأحبة، ننتظر أهل الخير الذين يؤلِّفون بين القلوب المختلفة، ننتظر دفعة وحبوة وزحفة للأمام، ننتظر بسمة تُقوّي القلوب وتنشِّطها للعمل، نطلب من كل إنسان أن يؤديَ عمله من أجل بناء أمّة الإسلام، كُلٌّ في مجاله، كلٌّ يُخلص في الموقع الذي يقدر عليه، ونحن ـ والحمد لله ـ نرى في أهل الخير والإيثار والوفاء ـ مع قلّتهم ـ من يقوم بهذا خير قيام، ولكننا وللأسف نرى مع كل هذا مَنْ يتسلّل لواذاً بقيل وقال، أو يفعل ذلك جهاراً... مَنْ وَظَّفَ لِسانَه في التفريق بين الأحبَّة... من أطال لسانه في إغضاب الله تعالى.

نرى ـ وللأسف ـ ألسنةً تهدم وتهدم في أمّة الإسلام، ونحن أشدّ ما نحتاج إلى البناء.

---

(١) الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١.

نرى الألسنة قد عملت عملها ـ ويا له من عمل ـ

كم بهذه الألسنة عُبِدَ غير الله تعالى وأُشرك، كم بها حُكِم بغير حكمه سبحانه؟ كم بها أُحدثت البدع؟ كم بها أُدميت أفئدة وقُرِّحت أكباد؟ كما بها أرحام تقطّعت وأوصال تحطّمت؟ كم بها تفرّقت قلوب؟ كم بها نزفت دماء؟ كما بها قُتل أبرياء؟ كم بها عُذِّب مظلومون؟ كم بها طُلّقت نساء بريئات؟ كم بها نُهبت أموال؟ كم بها قُذفت مُحصنات؟

إذن فالكتابة في اللسان لا بدَّ منها.. ولا بد أن يعلم خطرها المسلمون.

لقد مَنَّ الله عليَّ بالهمّة لأكتب في اللسان، فرُحْت أجاهد نفسي في كسب الوقت ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ورُحْت أبحث عن أيّ فائدة تتعلق باللسان، وعشت مع آيات الله تعالى وهي تأمر وتنهى، عشت مع أحاديث النبي ﷺ وهي تُرهِّب هذا وتُرغِّب ذاك، تتوعّد من تتوعّد بالعذاب لطول لسانه، عشت مع الحيارى والمظلومين والضعفاء، عشت مع القلم وبين الأوراق سنوات، ولكنني مع كل ذلك لم أكن منعزلاً عن المجتمع، فقد كنت في عالم واسع فسيح، وكأنني أرى رأي عين نعيماً للصابرين، وعذاباً للحاصدين بألسنتهم، وما أكثر أصنافهم وأنواعهم.

ولما كان الحصاد حصادَيْن؛ حصاد خير وحصاد شر، اخترت الكتابة في الثاني للتحذير من كل قبيح يخرج من اللسان، ويجاهد المرء نفسه في تجنب فِعله، علماً بأن مجال الكتابة في اللسان واسع جداً، وعسى الله سبحانه أن يُيسِّر من عباده من يكتب في حصاد الخير مُفصَّلاً فيه.

ولقد حرصت كما وعدت في أول كتاب أخرجته، ألاّ أذكر إلا الثابت عن رسول الله ﷺ ففيه الغُنية عما لم يثبت، وتركْت ما لم يثبت عند أهل الحديث من النّصوص، مهما كان حَسَناً جميلاً بديعاً في نظر الناس، فإن الحَسَن ما حسَّنه الشرع، والقبيح ما قبَّحه الشرع.

ولا يفوتني أن أشكر شيخي الفاضل «علامة العصر» محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله تعالى ومتَّعنا بعمره ـ على ما أفادني فيه من تحقيقات وتخريجات من كتبه غير المطبوعة. جزاه الله خيراً.

وإنني لأشكر زوجتي الفاضلة (أُم عبد الرحمن) فقد بذَلَت جهداً عظيماً في الكتابة، والتبييض، والمراجعة والمقابلة، جزاها الله خيراً.

أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه، وأن يجعله حجَّةً لي، لا عليّ، وأن ينفع به أمَّة الإسلام. إنه على كل شيء قدير.

* * *

من الأدلّة الآمرة بحفظ اللسان

قال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ المُؤمِنونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِم خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيد﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ولا تَقْفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ . إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسؤُولاً﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً . أَيُحِبُّ أَحدُكُم أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُموهُ واتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوابٌ رَحِيمٌ﴾[5].

وقال جلا وعلا: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِما

---

(١) المؤمنون: ١ ـ ٣.

(٢) الفرقان: ٧٢.

(٣) ق: ١٨. رقيب: ملك يرقبه. عتيد: أي حاضر.

(٤) الإسراء: ٣٦. تقف: تتبع.

(٥) الحجرات: ١٢.

كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[2].

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيَقُلْ خيراً أو ليصمت»[3].

وعنه أيضاً قال: قال ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي عما وسوَست أو حدّثت به أنفسها، ما لم تعمل به أو تكلّم»[4].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده»[5].

وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله حدِّثني بأمر أعتصم به قال: «قل ربي الله ثم استقم». قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليَّ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «هذا»[6].

وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «من يضمن لي ما بين

---

(١) النور: ٢٤.

(٢) الهمزة: ١. هُمَزة لُمَزة: كثير الهمز واللمز أي الغيبة.

(٣) رواه: البخاري ومسلم وغيرهما، قال النووي في رياض الصالحين: «وهذا صريح أنه ينبغي أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة لا يتكلم».

(٤) رواه: البخاري «كتاب الأيمان والنذور» وغيره.

(٥) متفق عليه.

(٦) رواه: الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وهو من «صحيح الترغيب والترهيب» لشيخنا الألباني ـ حفظه الله تعالى ـ.

لحييه[1] وما بين رجليه، أضمن له الجنة»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إنّ العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبيّن فيها، يَزِلُّ بها في النار أبعدَ ما بين المشرق والمغرب»[3].

وقال عليه السلام: «إنّ الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما كان يظن أن تبلغ ما بلَغَت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإنّ الرجل ليتكلم بالكلمة من سُخْط الله، ما كان يظنّ أنْ تبلغ ما بلَغَت، يكتب الله له بها سُخْطه إلى يوم يلقاه»[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً، يهوي بها سبعين خريفاً في النار»[5].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً: «أَملِكْ عليك لسانك، وليَسَعْك بيتك، وابْكِ على خطيئتك»[6].

---

(١) هو اللسان. واللحيان: العظمان اللذان ينبت عليهما الأسنان، وما بين رجليه: أي الفرج.

(٢) البخاري «الفتح» (٦٤٧٤).

(٣) أخرجه: البخاري دون قوله (والمغرب) ومسلم وغيرهما.

(٤) أخرجه: مالك والترمذي وابن ماجه وغيرهم وهو في «السلسلة الصحيحة» برقم (٨٨٨).

(٥) رواه: الترمذي وابن ماجه وغيرهما وهو من «صحيح سنن الترمذي» برقم (١٨٨٤).

(٦) أخرجه: ابن المبارك في «الزهد»، وأحمد والترمذي، وانظر «الأحاديث الصحيحة» برقم (٨٩٠).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم فإنَّ الأعضاء كلها تكفِّر[1] اللسان فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمْت استقمْنا، وإن اعوجَجْتَ اعوجَجْنا»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي: حسبك من صفية (زوج النبي ﷺ) كذا وكذا ـ تعني أنّها قصيرة ـ فقال النبي ﷺ: «لقد قُلْتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزَجَتْه»[3].

وعن شقيق قال: لبّى عبد الله (رضي الله عنه) على الصفا، ثم قال: يا لسان قُلْ خيراً تغنم، اسكت تسلم، من قبل أن تندم، قالوا: يا أبا عبد الرحمن هذا شيء أنتَ تقولُهُ أم سمعته؟ قال: لا، بل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»[4].

كفُّ اللسان جهاد بل من أفضل الجهاد

عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله»[5].

---

(١) أي تذلّ وتخضع له.

(٢) رواه: الترمذي وغيره «صحيح سنن الترمذي» (١٩١٢)، «المشكاة» (٤٨٣٨) التحقيق الثاني.

(٣) أخرجه: أبو داود والترمذي وغيرهما، وانظر «غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام» لشيخنا الألباني برقم (٤٢٧).

(٤) أخرجه: الطبراني وابن عساكر وغيرهما كما في «السلسلة الصحيحة» برقم (٥٣٤).

(٥) جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد وهو في «السلسلة الصحيحة» برقم (٥٤٩).

وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله عزّ وجلّ»[1].

وقال (عليه الصلاة والسلام): «أفضل المؤمنين إسلاماً، مَن سلِمَ المسلمون مِن لسانه ويده، وأفضل المؤمنين إيماناً، أحسنهم خُلُقاً، وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله تعالى عنه، وأفضل الجهاد، من جاهد نفسه في ذات الله عز وجل»[2].

قد يعجب الإنسان عندما يسمع أن كفَّ اللسان عن الحصاد جهاد، ولا عجب عندما نقرأ كلام رسول الله ﷺ السابق، فما أشقّه من جهاد وما أصعبه، فاللسان مجمع الأهواء، والنفس أمّارة بالسوء والهوى، وتتمثّل الأهواء بصور مختلفة، وأشكال متعددة، والمعصوم مَن عصم الله تعالى.

إنّ القتال في المعركة لا يكون جهاداً حقاً، حتى يتحقّق فيه شرط هام لا غنى عنه، وهو جهاد النّفس، فلو أنّ شخصاً أبلى بلاء حسناً في قتاله، ولكنّه لم يجاهد الرياء في نفسه، ومات على ذلك؛ لما كان هذا العمل مقبولاً عند الله تعالى، وليس من الغريب أن يكون جهاد النفس أصعب من جهاد البدن، لأن البدن مأمور والنفس أمّارة، كما في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[3]. وكما جاء في حديث النعمان بن

---

(١) رواه: أبو نعيم في «الحلية»، والديلمي وغيرهما، وانظر «الصحيحة» برقم (١٤٩٦).

(٢) أخرجه: الطبراني في «الكبير»، وابن نصر نحوه في «الصلاة»، وانظر «الصحيحة» برقم (١٤٩١).

(٣) يوسف: ٥٣.

بشير «. . . ألاَّ وإنّ في الجسد مضغة، إذا صَلَحَت صَلَح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب»[1].

فإذا تأمل المتأمل هذا الحديث، وَجَد أنّ الجسد كلّه تابع للقلب، فالجسد مقودٌ والقلب قائد، والجسد مأمور والنفس أمّارة.

فإذا علِمنا ذلك؛ عرفنا أنّ جهاد النفس هو الأصل، وهو الأصعب، وأنّ جهاد البدن لا يعظم عند الله تعالى، إلا بمصاحبة جهاد النفس، بل إنّ الإنسان الذي سأل الله الشهادة بصدق، وجاهَد نفسه في درء ما يغضب الله تعالى؛ فإنّه بالغٌ منازل الشهداء وإن مات على فراشه[2]، ولربما مات البعض في المعارك، وهم يعذَّبون يوم القيامة على عدم إخلاصهم[3]، فالأفضل والأمثل، إخلاص النية والعمل لله سبحانه.

أخوف ما يخاف
رسول الله ﷺ على الإنسانِ من اللسان

عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله حَدِّثني بأمر أعتصم به قال: «قل ربي الله ثم استقم» قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليّ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «هذا»[4].

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (١ / ٢٠) ومسلم (١٥٩٩) وغيرهما.

(٢) لقوله عليه السلام: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه» رواه مسلم (١٩٠٩) وغيره.

(٣) وفي هذا حديث طويل يرويه مسلم وغيره، عن الثلاثة الذين يسحبون على وجوههم في النار، ومنهم المقاتل الذي قاتل ليقال عنه: جريء.

(٤) رواه: الترمذي وقال: حسن صحيح، وهو من صحيح الترغيب، وقد تقدم.

إن أشدّ ما يطمئن له النّاس اليوم ألسنتهم، وأخوف ما يخاف الرسول ﷺ عليهم من ألسنتهم، والتي تُرى وكأنها مصانع سوء، لا تَكَلّ ولا تَمَلّ، ويقول الرسول ﷺ:

«إنّ أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان»[1] أعاذنا الله تعالى من كل علم لا ينفع.

وعلمـاء اللسـان هؤلاء ربما كانوا ألحن بالحجة، وأسطع في أداء البراهين، وما ذلك بخير لهم لو كانوا يعلمون، ولكن ليزدادوا عذاباً عند الله تعالى، فهم حين يُقنعون الناس بالباطل، ويضمّون إليهم الأصوات الكثيرة خداعاً وتضليلاً، فإنّما هم يتزوّدون من الإثم ما يتزوَّدون، وفي الحديث:

«إنّما أنا بشر وإنّكم تختصمون إليّ، فلعَلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها»[2].

كيف كان لسان رسول الله ﷺ

لا أريد أن أفصّل في الجواب، لأن سنة رسول الله ﷺ التـي فيها الـرحمة للعالمين، تنزّلت على لسانه (عليه الصلاة والسلام) ولكن أترك الكلام لأنس رضي الله عنه حيث يقول: «ما مَسَسْت ديباجاً ولا حريراً، ألين من كفّ رسول الله ﷺ، ولا شَمَمْت رائحة قط، أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمْتُ رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط أف، ولا قال

---

(١) رواه: أحمد وغيره، وهو في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٠١٣).

(٢) رواه: البخاري ومسلم وغيرهما.

لشيء فعلته: لم فَعَلتَه؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعَلْت كذا»[1].

أحْسِنْ به من لسان، لسانه عليه السلام، فما نطق إلا بخير، وانظر أخي المسلم إلى ألسنتنا وما تجنيه من الخطايا:

كم نقول بها: «أفّ» التي تجنّبها رسول الله ﷺ، إننا لا نستطيع أن نعيش بدونها، كلمة تُقال بلا حرج، ثم كلمة «ألا فَعَلْتَ كذا». كلمة خفيفة على اللسان، لَزِمها الناس ولم يذروها.

فلننظر في حالنا لنصلحَها، ولننظر في ألسنتنا فعليها مدار الأخلاق.

ولتعلم أخي المسلم أنّ رسول الله ﷺ: «كان طويل الصمت، قليل الضحك»[2].

فحبذا لو تعلَّمْنا هذا الأدب، ونِعْم الأدب، كان رسول الله ﷺ طويل الصمت، والكلّ منا يشتهي ويتمنّى لو سمع من رسول الله ﷺ الكلام، لأنّه لا يقول إلا الخير، ومع ذلك كان عليه السلام طويل الصمت، أليس من الجدير بنا نحن، أن نصمت ونطيل الصمت؟!

لسان المؤمن

وعن أبي زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن مثل النّحلة، لا تأكل إلا طَيّباً، ولا تضَـع إلا طيِّباً»[3].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه: أحمد في مسنده وغيره، وانظر «المشكاة» (٥٨٢٦).

(٣) أخرجه: ابن حبان وابن عساكر وغيرهما، وهو من «الصحيحة» برقم (٣٥٥).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمن مثل النخلة، ما أخذت منها من شيء نَفَعَك»[1].

وهكذا لسان المؤمن، فإنّه لا يقول إلا الطَّيب، فكلامه صِدق، وإصلاحٌ بين الناس، وأمر بمعروف، ونهي عن المنكر، ودعاء وتضرّع لله سبحانه، وما استمعتَ للمؤمن إلا نفعكَ هذا الاستماع. فليكن لنا لسانُ المؤمن، وليكن لنا صفاء قلبه ونقاؤه.

أمر رسول الله ﷺ بالتعوّذ من شرّ اللسان

عن شَكَل بن حميد (رضي الله عنه) قال: أتيت النبي ﷺ فقُلْت: يا رسول الله! علِّمني تعوّذاً أتعوّذ به، قال: فأخذ بكفّي فقال: قل:

«اللهم إنّي أعوذ بك من شرّ سمعي، ومن شرّ بصري، ومن شرّ لساني ومن شرّ قلبي، ومن شرّ منيّي»[2].

فما بالنا لا نتعوَّذ، وما بالنا لا ندعو الله تعالى، أن يقيَنا شرور ألسنتنا، أم أمِنَّا مكر الألسنة ونحن نرى ما تجنيه من غيبة ونميمة وسبٍّ وشتم وإفساد وشرّ. فهيَّا بنا نتوسّل إلى الله تعالى، أن يقيَنا من عثرات ألسنتنا.

هيّا بنا ندعو بيقين وإخلاص، لئلا نتردى في الجحيم والخسران.

---

(١) رواه: الطبراني، وهو في «الصحيحة» برقم (٢٢٨٥).

(٢) رواه: أبو داود والترمذي والنسائي وهو من «صحيح سنن الترمذي» برقم (٢٧٧٥).

الترغيب في الصمت إلا عن خير، والترهيب من كثرة الكلام[1]

عن أبي (موسى رضي الله) عنه قال: قلت: يا رسول الله: أيّ المسلمين أفضل قال: «من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده»[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: قال ﷺ: «المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده»[3].

وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال: سألْت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها». قُلْت: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: «أن يسلم الناسُ من لسانك»[4].

عن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! علِّمني عملاً يدخلني الجنة، قال: «إن كنتَ أقصَرْت الخُطبة لقد أعرضْتَ المسألة[5]. أعتِق النَّسَمة وفكّ الرقبة، فإن لم تُطِقْ ذلك، فأطعم الجائع، واسْقِ الظمآن، وأْمُر بالمعروف وآنْهَ عن المنكر، فإن لم تُطق ذلك، فكُفَّ لسانَك إلا عن خير»[6].

---

(١) جميع هذه الأحاديث من كتاب «صحيح الترغيب والترهيب» لشيخنا الألباني ـ حفظه الله تعالى ـ، وأصل الكتاب «الترغيب والترهيب» للمنذري ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٢) متفق عليه، وتقدّم.

(٣) رواه: البخاري ومسلم.

(٤) رواه: الطبراني بإسناد صحيح وصدره في الصحيحين.

(٥) أي جئت بالخطبة قصيرة، وبالمسألة واسعة كثيرة، «النهاية».

(٦) رواه: أحمد وغيره.

وعن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) قال: قلت يا رسول الله: ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسَعْك بيتك، وابكِ على خطيئتك»[1].

وعن ثوبان (رضي الله عنه) قال: قال عليه الصلاة والسلام: «طوبى[2] لمن ملكَ لسانه، ووسِعَهُ بيته وبكى على خطيئته»[3].

عن سهل بن سعد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من يضمنْ لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمنْ له الجنة»[4].

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبدٍ حتَّى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتَّى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنَّة رجلٌ لا يأمن جاره بوائقه»[5].

عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله: «إنك لن تزال سالماً ما سكتَّ، فإذا تكلّمتَ كُتب لك أو عليك»[6].

وعن معاذ أيضاً (رضي الله عنه) قال: يا رسول أوصني قال: «اعبد

---

(١) أخرجه: أحمد والترمذي وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (٨٩٠).

(٢) جاء تفسير طوبى في الحديث الذي يرويه أحمد في مسنده وابن حبان وغيرهما، وهو في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٩٨٥)، «طوبى شجرة في الجنة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها».

(٣) رواه: الطبراني في «الأوسط» و«الصغير» وحسّن إسناده كما قال المنذري ووافقهما شيخنا ـ حفظه الله تعالى ـ.

(٤) رواه: البخاري «الفتح» (٦٤٧٤) وتقدّم.

(٥) رواه: أحمد وغيره.

(٦) سيأتي تخريجه.

الله كأنك تراه، واعددْ نفسك في الموتى، وإن شئت، أنبأتك بما هو أملك بك من هذا كلّه؟ قال: هذا، وأشار بيده إلى لسانه»[1].

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كُلَّها تُكفِّر اللسان فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمْتَ استقَمْنا وإن اعوجَجْت اعوجَجْنا»[2].

عن أبي بكـــر (رضي الله عنـــه) قال: قال ﷺ: «ليس شيء من الجسد، إلا يشكو ذرب[3] اللسان على حِدّته»[4].

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال ﷺ: «مَن صمت نجا»[5].

وعن أنس (رضي الله عنه)، أن رسول الله ﷺ قال: «ألا هل عسى رجـل منكم أن يتكلم بالكلمة، يُضحِك بها القوم، فيسقط بها أبعد من السماء، ألا هل عسى رجل منكم يتكلم بالكلمة، يُضحِك بها أصحابه، فيسخط الله بها عليه، لا يرضى عنه حتى يدخله النار»[6].

---

(١) رواه: ابن أبي الدنيا بإسناد جيد، كما قال المنذري.

(٢) تقدّم تخريجه.

(٣) في «لسان العرب»: ذرب اللسان حدّته. يقال: ذَرِبَ لسان الرجل يذرَب إذا فسد، وقيل الذَّرب اللسان: هو الحادّ اللسان وقيل: الفاحش البذيء الذي لا يبالي بما قال.

(٤) وفي رواية «ليس شيء من الجسد: إلَّا يشكو إلى الله اللسان على حدّته» رواه أبو يعلى في «مسنده» وابن السني في «عمل اليوم والليلة» وغيرهما، وهو في «السلسلة الصحيحة» برقم (٥٣٥).

(٥) سيأتي تخريجه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٦) رواه: أبو الشيخ بإسناد حسن وغيره؛ كما في «الترغيب» للمنذري.

عن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ كلام ابن آدم عليه، لا له، إلا أمرٌ بمعروف أو نهي عن منكر، أو ذكر الله»[1].

عن المغيرة بن شبعة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله كَرِه لكم ثلاثاً: قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال»[2].

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال عليه الصلاة والسلام: «مِن حُسن إسلام المرء تَرْكه ما لا يعنيه»[3].

وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: «والذي لا إله غيره؛ ما على ظهر الأرض من شيء أحوَج إلى طول سجن من لسان»[4].

وعن أسلم أن عمر دخل يوماً على أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما) وهو يجبذ لسانه، فقال عمر: مه، غفر الله لك، فقال له أبو بكر: «إن هذا أوردني بِشرّ الموارد»[4].

الإمساك عن حصاد اللسان يُعَدُّ من الصدقات

قال ﷺ: «على كل مسلم صدقة، قيل: أرأيت إن لم يجدْ؟ قال: يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدّق، قال: قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يُعين ذا الحاجة الملهوف، قال: قيل له: أرأيت إن لم يستطع؟ قال يأمُر بالمعروف أو الخير قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يُمسك عن الشرِّ فإنّها

---

(١) رواه: الترمذي وابن ماجه وغيرهما.

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) سيأتي تخريجه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٤) هذان الأثران أيضاً من «صحيح الترغيب والترهيب».

صدقة»[1].

حفظ اللسان شرط لدخول الجنَّة

عن سهل بن سعد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من يضمنْ لي ما بين لحييه وما بين رجليه، أضمن له الجنة»[2].

الصيام من اللغو والرفث

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث[3] فإن سابّك أحد، أو جهل عليك، فقل: إنّي صائم إنّي صائم»[4].

وجوب التبيّن قبل الكلام، والتثبت فيما يقوله المرء

قال الله تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أُولئكَ كانَ عنْهُ مَسْؤُولاً﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقيبٌ عَتِيد﴾[6].

---

(١) رواه: البخاري ومسلم، واللفظ له (كتاب الزكاة)، والاعتمال: افتعال من العمل.

(٢) تقدَّم.

(٣) الرَّفث: الفحش من القول.

(٤) رواه: ابن خزيمة، وابن حبان، في «صحيحيهما»، والحاكم، وهو من «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (١٠٦٨).

(٥) الإسراء: ١٣٦.

(٦) ق: ١٨.

وقال تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُم نَادِمين﴾[1].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه سمع النبي النبي ﷺ يقول: «إن العبد ليتكلّم بالكلمة ما يتبيَّن فيها[2] يزلّ بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب»[3].

وعنه (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: «إنَّ العبد ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله ما لا يُلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإنّ العبد ليتكلم بالكلمة من سَخَط الله تعالى، لا يُلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنّم»[4].

فلا بُدَّ من التبيّن بما يُقال عن المسلم من أخبار سيئة، وأقوال مُشينة، ولا نسارع بروايتها دونما تثبّت، وقد جاء في مقدمة صحيح مسلم عن الإمام عبد الله بن المبارك (رحمه الله تعالى): «الإسناد من الدّين، ولولا الإسناد، لقال مَنْ شاء ما شاء».

فلنعلم أن الله سبحانه وتعالى يُتعبّد بدراسة الأسانيد، وبها حَفِظَ الله سبحانه وتعالى لنا كلام رسوله ﷺ من الكذب والافتراء عليه، والاشتغال بهذا العلم العظيم من أشرف الأعمال ولا شك.

قال ابن المبارك: ما أعلم عملاً أفضل من طلب الحديث؛ لمن أراد به الله عزّ وجَلّ.

---

(١) الحجرات: ٤٩.

(٢) أي: لا يفكر بها إن كانت في طاعة الله تعالى أو في معصيته.

(٣) تقدّم في أول الكتاب.

(٤) البخاري «الفتح» (٦٤٧٨)، (كتاب الرقاق) (باب حفظ اللسان).

أقول: إذا سمعتَ طاعناً بأخيك المسلم، أو مُتَّهماً له بمكروه، فتعبّد الله تعالى بتحرِّي السند، فَسَلْهُ من قال هذا؟ وممن سمع؟ وتسلسل بالسؤال، إلى أن تعرف مصدر القول، ثم تفكّر، هل هذا ممن تُقبل شهادتهم؟ هل عُرف فيه الكذب؟ هل سبق أن جاهر بمعصية؟ ما درجة حفظه وضبطه لما يسمع؟

ولعلّك سترى من خلال التمحيص من يُطعن في الْتزامه بدين الله سبحانه، فيتّضح لك سوء النّية والقصد، أو ترى ضعفاً في الضبط والحفظ وخللاً في النّقل، مما يؤكّد لك براءة أخيك المسلم.

هكذا نفعل، أمّا أن نسمع أقوال الناس، فنتبرَّع بنشرها فلا يجوز، ورسول الله ﷺ يُحذِّرنا من هذا فيقول: «كفى بالمرء إثماً أن يحدِّث بكل ما سَمع»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «كفى بالمرء كذباً أن يحدِّث بكل ما سَمِع»[2].

إنَّ الحديث بكل ما تسمع كَذِب، وإنَّك لا تُحاسَب إذا لم تحدِّث[3]، ولكنَّك محاسَب على الحديث بما تسمع، ويا لها من آلام ومصائب حلَّت بأمّتنا، فحين يكون الكلام واجباً صمتوا، وحين يكون الصمت واجباً تكلّموا، فإلى الله تعالى المشتكى.

---

(١) رواه: أبو داود وغيره «صحيح أبي داود» برقم (٤١٧٧).

(٢) رواه: مسلم في «مقدمته» وغيره «الصحيحة» برقم (٢٠٢٥).

(٣) إلا أن تكون آمراً بمعروف، أو ناهياً عن منكر.

ما الذي يجب أن تفعله أمام من يذكر المسلم بالسوء؟

١ ـ لا تبتسم في وجهه، ولا تفتح له أُذنيك.

٢ ـ ذكِّره بتقوى الله تعالى، واذكر له الآيات والأحاديث التي تُحرِّم ذِكر المسلمين بالسوء.

٣ ـ وإذا لم يُحدث توبة؛ فاطلب منه تحديد موعد مع الطرف الآخر، للتوثق من صحة ما قيل، وذكِّره بحديث رسول الله ﷺ: «إذا جلس إليك الخصمان، فلا تقْضِ بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول؛ فإنّك إذا فعلْت ذلك، تبيّن لك القضاء»[1].

٤ ـ أخبره إن ثبت كذبه، أنك لست مستعداً للقاء معه مرَّة أخرى، وستقوم بتحذير الناس منه. وإلاَّ، فإني أذكّرك بقول الله سبحانه وتعالى: **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ علىٰ لِسانِ داوودَ وعِيسىٰ ابنِ مَرْيَمَ ذٰلِكَ بِما عَصَوْا وكانُوا يَعْتَدُونَ . كانوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُون﴾**[2].

وأُذكّرك كذلك بقوله (عليه الصلاة والسلام): «إنَّ الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمَّهم الله بعقابٍ منه»[3].

---

(١) أخرجه: أبو داود والحاكم والطيالسي وغيرهم، وهو من «السلسلة الصحيحة» برقم (١٣٠٠).

(٢) المائدة: ٧٨ ، ٧٩.

(٣) أبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم، وهو من «صحيح سنن الترمذي» برقم (١٧٦١).

إلى من لا يحسن نقل الكلام وتبليغه

من رأى في نفسه عدم الدقّة في النّقل، لضعف الحفظ والاستيعاب أو كثرة النسيان أو الوهم، فلا يكلّفه الله سبحانه أن يتكلم ويخوض في شؤون الناس، لأنّه قد يزني الشريف على لسانه، ويسرق العفيف من كلمات لم يُحسِن نقلها، فهذا لم يطع رسول الله ﷺ في قوله:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمُت»[1]. فإنّه ما صمتَ وما قال خيراً، بل قال شراً.

كم حُكم على أحاديث بالضعف، لضعف حفظ رُواتها ونسيانهم وأوهامهم. فليتق الله تعالى هؤلاء، فإن كلماتهم أذى للناس، وأقوالهم تفريق بين الأحبّة، فليتركوا الكلام المتعلق بحقوق العباد، ولا يقولوا نوايانا طيبة، فإنَّ حُسن النية وحده لا يكفي، بل ينبغي أن تكون الأعمال أيضاً حسنة، فإن من ظُلم لا ينتفع بحُسْن نية الظالم.

ليس من دواء لهؤلاء أنجع من الصمت، فقد قال ﷺ: «مَن صمَت نجا»[2]، وإن كان هؤلاء قد عَشقوا التكلم. فليتلوا آيات الله، وليقرؤوا أحاديث رسول الله ﷺ، فهذا كلام يُعبد الله تعالى به، فإنّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

عاقبة الظلم

أيها الظالمون الواقعون في أعراض المسلمين: أيُّها المُفترون:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه: الترمذي والدارمي وأحمد وغيرهم وهو من «الصحيحة» برقم (٥٣٦).

اعلموا أنكم محاسبون وانكم واقفون بين يدي الله تعالى وليس بينكم وبينه ترجمان. كيف ارتضيتم على أنفسكم الافتراء على المسلمين والطعن في أعراضهم، وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا؟ ويحكم هل أنتم مسلمون؟!

أما قرأتُم قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المؤمِنينَ والمؤمِناتِ بغَيرِ ما اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلوا بُهْتاناً وإثْماً مُبيناً﴾[1]؟!

أما قرأتم قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمينَ مِنْ حَميمٍ ولاَ شَفِيعٍ يُطاع﴾[2]؟!

أما قرأتم قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمينَ مِن نَصيرٍ﴾[3]؟!

أما تخشَوْن أن تُقام عليكم الحدود يوم القيامة؟! اسمعوا قوله (عليه السلام): «مَنْ قذف مملوكه بالزنا يُقامُ عليه الحدُّ يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال»[4].

أيها الآثمون اسمعوا حديث رسول الله ﷺ:

«اتقوا الظلم فإنّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحَّ فإن الشُحَّ أهلك من كان قبلكم، حَمَلهم على أن سَفَكوا دماءهم، واستحلّوا محارمهم»[5].

---

(١) الأحزاب: ٥٨.

(٢) غافر: ١٨.

(٣) الحجّ: ٧١.

(٤) رواه: البخاري (٨ / ٢١٨)، ومسلم (١٦٦٠) وهذا لفظه.

(٥) رواه: مسلم (كتاب البر والصلة والآداب)، والبخاري في «الأدب المفرد»، وأحمد، وغيرهم.

لَتُؤدُنَّ الحقـوق إلى أهلها يوم القيامة، نعم لتؤدنّها. . . ، واسمعوا قوله عليه السلام: «لتؤدنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقَاد للشاةِ الجلحاء من الشاة القرناء»[1].

سيأتي عليكم يوم لن تفلتوا فيه من عذاب الله سبحانه.

أما سمعتم قوله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿وكذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إذا أَخَذَ القُرىٰ وَهي ظالِمةٌ، إنّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيد﴾[2][3]؟.

لا تظنّن أنك فالت من عقاب الله تعالى.

لا تحسبنَّ أنك سالم من جزاء الله سبحانه، فلا والله لن تسلم، وإن طالت بك الأيام.

أيها الظالم: «اتَّقِ دعوة المظلوم، فإنّه ليس بينها وبين الله حجاب»[4].

يَا من تكفّلتم بظلم الناس والطعن في أعراضهم، اسمعوا قوله (عليه السلام):

«من كانت عنده مظلمة لأخيه، فلْيتحلَّله منها، فإنّه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهم، مِن قبل أن يُؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أُخذ

---

(١) مسلم وغيره. والجلحاء: التي لا قَرْن لها، والقرناء: التي لها قَرْن.

(٢) هود: ١٠٢.

(٣) متفق عليه.

(٤) جزء من حديث متفق عليه.

من سيئات أخيه فطُرحت عليه»[1].

اسمعوا أيها الحاصدون كلام النبي ﷺ وحواره مع الصحابة (رضي الله عنهم) لتعلموا أنكم مفلسون.

«أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا مَن لا درهم له ولا متاع، فقال: «إنّ المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيام وزكاة، ويأتي قد شَتَمَ هذا، وقذَفَ هذا، وأكَل مال هذا، وسفَك دم هذا، وضَرَب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أُخِذ من خطاياهم، فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار»[2].

واعلموا أنّ ظلم العباد لا يتركه الله تعالى، حتى يقتصّ بعضهم من بعض.

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ:

«الظُلْم ثلاثة، فظُلْم لا يتركه الله، وظُلْم يُغفر، وظُلْم لا يُغفر، فأما الظُّلم الذي لا يُغفر، فالشرك لا يغفرهُ الله، وأما الظُّلم الذي يُغفَر، فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الظُّلم الذي لا يُترك، فظلم العباد، فيقتص الله بعضهم من بعض»[3].

---

(١) رواه: البخاري (٨ / ١٣٨) وغيره.

(٢) رواه: مسلم (٢٥٨١) (كتاب البرّ والصلة والآداب).

(٣) أخرجه: أبو داود والطيالسي في «مسنده»، وعنه أبو نعيم في «الحلية»، كما في «الصحيحة» برقم (١٩٢٧).

صداقة الحاصدين بألسنتهم من ضعف الإيمان

عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَثَل الجليس الصالح والجليس السوء، كمَثَل صاحب المِسك، وكير الحدَّاد، لا يعْدَمُك من صاحب المِسك، إما تشتريه أو تجِدُ ريحه، وكير الحداد، يُحرِقُ بدنك أو ثوبك، أو تجد منه ريحاً خبيثة»[1].

وعن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال رسول الله ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»[2].

فعليك يا أخي بالجليس الصالح، وعليك بالصاحب المؤمن، إنك ولا شك تمضي إلى خير ـ إن شاء الله ـ إن صَحِبْتهم، ولا تزداد مع الأيام إلا صلاحاً وإيماناً، وإيّاك وجليس السوء، وإيّاك والصاحب الحاصد بلسانه، فإنك لا تجني من هذا الصنف إلا السوء والفسق والعصيان، إنك تجني الغيبة والنميمة، والبهتان والافتراء والكذب، فإيّاك وإيّاك منهم.

الرَّان من ثمرات عدم حفظ اللسان

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ العبد إذا أخطأ خطيئة، نُكِتت في قلبه نكتة سوداء، فإنْ هو نزع واستغفر وتاب؛ صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها، حتى تعلوَ على قلبه. وهو الران الذي ذَكَر

---

(١) رواه: البخاري في «صحيحه» (كتاب البيوع) (باب في العطار وبيع المسك).

(٢) رواه: أحمد في «مسنده»، وأبو داود وغيرهما، وهو في «المشكاة» برقم (٥٠١٨).

الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]»[2].

الذي لا يحفظ لسانه مهدَّدٌ بسوء الخاتمة

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ، أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي فليحذر وليخش مَنْ خالف شريعة الرسول، باطناً وظاهراً ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾، أي: في قلوبهم مِنْ كُفر أو نفاق أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: في الدنيا، بقتل أو حدٍّ أو حبسٍ أو نحو ذلك».

خطاب مرعب من رسول الله ﷺ للحاصدين

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ:

«يا معشر مَن أسلم بلسانه ولم يُفضِ الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تُعيِّروهم، ولا تتّبعوا عوراتِهم، فإنّه مَن يتبَعْ عورة أخيه المسلم؛ تتبَّعَ الله عورته، ومن يتّبع الله عورته؛ يفضحْه ولو في جوف رحله»[4].

---

(١) المطففين: ١٤.

(٢) رواه: أحمد في مسنده، وابن ماجه، والنسائي وغيرهم، وهو من «صحيح سنن الترمذي» برقم (٢٦٥٤).

(٣) النور: ٦٣.

(٤) «صحيح سنن الترمذي» برقم (١٦٥٥).

كراهية الله تعالى لحصائد الألسن

عن المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله تعالى حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ووأْد البنات، ومَنعَ وهات، وكَرِه لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[1].

إنّ النفس لأمارة بالسوء، وهٰذه النفس أمارة بـ (قيل وقال) مرغِّبة بهما محبِّبة لهما، وبئست الرغبة والمحبة، لأن الله تعالى يكره ذلك.

فيا عجباً لمن يحب ما يكره الله، ويكره ما يحب الله تعالى! هدانا الله الصراط المستقيم.

الذي لا يحفظ لسانه، أبعد الناس عن الرسول ﷺ وأبغضهم إليه يوم القيامة

عن جابر (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ مِن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإنّ أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون[2]، والمتشدقون[3]، والمتفيهقون[4]، قالوا: قد علِمنا الثرثارون والمتشدّقون فما المتفيهقون؟

---

(١) البخاري «الفتح» (٢٤٠٨)، ومسلم وغيرهما.

(٢) الثرثار: كثير الكلام تكلفاً.

(٣) المتشدق: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصحاً وتعظيماً لكلامه.

(٤) المتفيهق: أصله من الفهق، وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه، ويضرب به تكبراً وارتفاعاً وإظهاراً للفضيلة على غيره.

قال: المتكبّرون»[1].

يا أبغض الناس إلى رسول الله ﷺ، يا أبعد الناس منه يوم القيامة انظروا في أنفسكم هل جنيتم من شيء سوى الهوى.

﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[2].

ولا تظنوا أنّ حبّ رسول الله ﷺ يكون بالادعاء، وإنما يكون باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، فعليكم بألسنتكم فاتقوا الله فيها، وهذا هو الحب الحقيقي وما سوى ذلك كذب وافتراء.

حرمان الخير بسبب اللسان

عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «خرجْتُ لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى[3] فلان وفلان فرُفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»[4].

فها أنت ـ رحمك الله تعالى ـ رأيت كيف اختلجت ليلة القدر من رسول الله ﷺ، بسبب تلاحي رجلين، وما فضائل ليلة القدر عنك ببعيدة، وقد قال الله تعالى فيها:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ . لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ

---

(١) أخرجه: الترمذي وغيره، وهو من «الصحيحة» برقم (٧٩١).

(٢) التوبة: ٣٨.

(٣) التلاحي: المخاصمة والمنازعة والمشاتمة.

(٤) رواه البخاري «الفتح» (٢٠٢٣) وغيره.

﴿المَلَائِكَةُ والرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[1].

فكم اختُلجت منا الخيرات، وسُلبت النّعم بالتلاحي، والغيبة، والنميمة، والبهتان، والكذب، وآفات اللسان.

الحاصدون بألسنتهم مفاتيح شر

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال:

«إنَّ مِن الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإنَّ من الناس مفاتيح للشرّ، مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشرّ على يديه»[2].

أجل إن اللسان قد يكون مفتاحاً للشر، مفتاح شِرْك يتبعه الناس جيلاً بعد جيل، ومفتاح بدعة يتوارثها الناس توارثاً، ومفتاح غيبة، ونميمة وكذب، وافتراء.

باللسان قد تحصل الفتنة التي تقتل الناس وتبعثر قلوبهم، وباللسان الواعي المصلح، قد يؤثر في الناس، فيدينون بدين التوحيد، ويسبحون بحمد ربهم آناء الليل وأطراف النهار، فلا عجب أن يكون اللسان مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، أو مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير.

---

(١) القدر: ٢ ـ ٥.

(٢) حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده، أخرجه: ابن ماجه، وابن أبي عاصم في «السنة» وغيرهما، كما في «الصحيحة» برقم (١٣٣٢).

أمراض يعاني منها الحاصدون بألسنتهم

١ ـ الاستهانة بأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ:

إنَّ عدم حفظ اللسان دالٌ على الاستهانة بأوامر الله تعالى ونواهيه. وبأحاديث رسوله ﷺ التي تأمر بحفظ اللسان.

فإنه لو لم يكن مستهيناً بهذا، لأطاع أوامر الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ والله سبحانه يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[1].

ورحم الله الشافعي إذ يقول:

تعصي الإلـه وأنت تُظهر حُبَّه ... هذا محـال في الـقياس بديع
لو كانَ حُبّـك صادقـاً لأطعتـه ... إنّ الـمحبَّ لمـن يُحب مُطيع

٢ ـ نُقصان الإيمان بالله واليوم الآخر:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمُت»[2].

فلنتـأمـل كيف يكون الربط بين القول أو الصمت، والإيمان بالله واليوم الآخر، فالصمت قد يكون من الإيمان بالله[3] واليوم الآخر. وكم من الناس من يستمتع بالغيبة، ظاناً نفسه أنه يمضي إلى خير. ولكنه لا يعلم أنه ينقص من إيمانه بقدر ما يعثر لسانه.

---

(١) آل عمران: ٣١.

(٢) تقدّم في أول الكتاب.

(٣) إن كانت نيته الطاعة أولاً، وعلى ألا يكون هذا في مجالس أقوام ينتهكون حرمات الله ثانياً.

فهل آمن بعظمة الله من لا يحفظ لسانه؟ هل آمن أنَّ بطشه سبحانه شديد[1]؟ هل آمن أن الله سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم، ساعة غيبته ونميمته؟ هل آمن أن الله تعالى شديد العقاب؟ هل آمن بالآيات الكثيرة التي تصف عظمة الله وقدرته، وأنه سيحاسبه على لسانه وأعماله؟ وهل آمن باليوم الآخر وعظَّمه التعظيم اللائق به؟

أعند وقوعكم في الغيبة والنميمة والطعن في الأعراض، كنتم تؤمنون باليوم الآخر؟ أنتم تعلمون الجواب. تعلمون أن قلوبكم لاهية غافلة عن ذكر الله، فأنيبوا إلى الله تعالى، وتوبوا إلى ربكم ـ سبحانه ـ من قبل أن يأتيَ يوم، لا ينفعكم فيه ندم، ولا تجدي فيه توبة.

٣ ـ الاستهانة بالرقيب العتيد:

وأين من لا يحفظ لسانه من قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2]؟

إن الإنسان الذي يعتقد برقابة البشر، ذوي الشأن والسلطان، يُحسّن ألفاظه تجاههم، مخافة عقابهم، واتقاء لبطشهم، فهل شعر برقابة الله تعالى، من لا يَزِن كلامه؟ أوَليس الله تعالى أحق بالخشية؟ وأين إيمان هذا بالرقيب العتيد؟

٤ ـ نقصان الإيمان بالجنَّة:

يا من اتخذتم الغيبة والنميمة والخوض بالباطل أذكاراً، رطبت بها

---

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ سورة البروج.

(٢) ق: ١٨.

ألسنتكم! هل هذا الخوض بالباطل يعني أنكم آمنتم بالجنة وما أعدّه الله فيها لعباده الطائعين؟ انظروا إلى قول الله تعالى؛ في بعض الآيات في نعيم الجنة، وانظروا إلى قول رسول الله ﷺ أيضاً، ثم تفكروا في أنفسكم، هل أنتم مؤمنون بالجنة كما يحب ربنا ويرضى؟

قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ[1] آمِنِينَ[2] . وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ . لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ[3] وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ . تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ[5] . يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ[6] مَخْتُومٍ . خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[7].

وقال عليه السلام: «يدخل الجنَّة من أمتي زمرة، وهم سبعون ألفاً، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر»[8].

---

(١) سالمين من الآفات.

(٢) آمنين من كل خوف وفزع.

(٣) المشقّة والتعب والأذى.

(٤) الحجر: ٤٥ ـ ٤٨.

(٥) نضرة النعيم. هي صفة الترافة والحشمة والسرور والدّعة والرياسة.

(٦) في تفسير ابن كثير الرحيق: من أسماء الخمر، وفي «مختار الصحاح»: الرحيق: صفوة الخمر.

(٧) المطففين: ٢٢ ـ ٢٦.

(٨) متفق عليه.

وقال ﷺ: «ما في الجنّة شجرة إلا وساقها مِن ذهب»[1].

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: «ينـادي منادٍ: إنَّ لكم أن تصحّوا فلا تسقموا[2] أبداً، وإنّ لكم أن تحيَوا فلا تموتوا أبداً، وإنّ لكم أن تَشِبّوا فلا تهرموا أبداً، وإنّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً»[3].

كأني بكم تزهدون في الجنة وأنتم تُقحمون الألسنة بالباطل.

مالي أراكم تنـامون عن طلب الجنة غير هاربين من النار، وصدَق رسول الله ﷺ إذ يقول:

«ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنّة نام طالبها»[4].

أم أنكم في سكرة ألسنتكم تعمهون، وأنّى للسكارى أن يميِّزوا بين الصحيح والخطأ. فأفيقوا من غفلتكم فذلك خير لكم لو كنتم تعلمون.

٥ ـ نقصان الإيمان بالنار:

أيُّهـا الحـاصـدون! أين أنتم من قولـه تعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ . عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ . تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً . تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ . لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ**[5] **. لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ**

(١) عن «صحيح سنن الترمذي» برقم (٢٠٤٩).

(٢) أي تمرضوا.

(٣) رواه: مسلم (٢٨٣٧) (كتاب الجنّة).

(٤) أخرجه: ابن المبارك في «الزهد»، والترمذي وغيرهما، وهو من «الصحيحة» برقم (٩٥٣).

(٥) قال ابن كثير في تفسيره: «قال البخاري: قال مجاهد: الضريع نبت يقال له

جُوعٍ ﴾[1]. ؟

أما أرعبكم قوله تعالى: ﴿تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً﴾، فأين الإخلاص في اتقائها وقد اشتد توقدّها وعَظُم حرُّها؟

وعن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: قال عليه الصلاة والسلام: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، لكل جزء منها حرّها»[2].

أما أخافكم ـ أيها الحاصدون ـ قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾؟ أين خشيتكم من الجوع الدائم والعطش المستمر؟

إن خوفكم من جوع الدنيا جعلكم تحسنون إحساناً، وتتفانون تفانياً، تعملون دائبين، تجتهدون في التفكير، ولا تقصرون في التنفيذ، وما كان هذا كله إلا من أجل درء الجوع ودفعه، فما لكم لا تؤمنون؟

أما وضعتم أمام أعينكم جوع الآخرة وعطشها؟

إنه ليس جوع يوم، أو شهر، أو سنة، إنه جوع طويل، وظمأ شديد.

أين أنتم أيها الخائضون من قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيْمَ هِيَ المَأْوَىٰ﴾[3].

أيها الخائضون الأوفياء للشيطان! أيها الخائضون المضحُّون بالآخرة! هل راقبتم ما تُخرِج ألسنتكم؟ أما علمتم أنها ستردِيكم في

= الشبرق، يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس، وهو سمّ».

(١) الغاشية: ١ ـ ٧.

(٢) عن «صحيح سنن الترمذي» برقم (٢٠٨٩).

(٣) النازعات: ٣٧ ـ ٣٩. المأوى: هو المنقلب والمصير والمرجع.

الجحيم؟ فعلام هذا الطغيان؟ وإلام ترضون بهذا الخسران؟ فعودوا إلى صوابكم، واحكموا أنفسكم بحُكم الله سبحانه ولا تحكموها بحكم الشيطان وأعوانه.

يا من تتغامزون وتتضاحكون بالإثم والعدوان والمعاصي! أما تخشون البكاء؟... اسمعوا قول رسول الله ﷺ:

«يُرسَل البكاء على أهل النار، فيبكون حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم،حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود[1]، لو أرسلت فيه السفن لجرت»[2].

أما تَخْشَوْن أن تبكوا الدم يا من تتهامسون وتتغامزون بما يغضب الله تعالى؟

ويلكم ضيَّعتُم أنفسكم من أجل الغيبة والنّميمة ـ كم كنتم تستمتعون في الافتراء على المسلمين؟ ماذا لكم إلا الخسران؟ ماذا لكم إلا الندم؟

بالأمس بسمات وضحكات، ولكن من يكلؤكم مِن غدٍ فيه الدُّموع والدِّماء؟

٦ ـ نقصان الإيمان بعذاب القبر:

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: «مرَّ بقبرين فقال: إنّهما يُعذَّبان، وما يُعذَّبان في كبير[3]! بلى إنّه كبير: أما أحدهما

---

(١) هو الشقُّ في الأرض.

(٢) رواه: ابن ماجه وغيره، وانظر حديث (١٦٧٩) من «السلسلة الصحيحة».

(٣) ليس كبيراً في زعمهما هما.

فكان يمشي بالنميمة،وأما الآخر فكان لا يستتر[1] من بوله»[2].

فالخائض بلسانه بالباطل مُعذَّب في قبره، ولو صَحّ منه الإيمان بهذا العذاب؛ لصحَّ السعي لاتقائه واجتنابه.

٧ ـ نقصان الإيمان بالقدر:

ولعلك ترى شخصاً يذكر آخر بسوء لأنه محبوب عند الناس أكثر منه، أو أنه أكثر منه عِلماً أو مالاً، وذلك لنقصان إيمانه بالقدر؛ أو أن فتاة سخيفة العقل ترى فتاة أخرى أجمل منها، فلا تدعها تسلم من شرِّ لسانها، ولو كان الإيمان بقدر الله في فؤاد هذه الفتاة، لرضيت بالحال التي هي فيها، مما لا يدَع مجالاً لوجود هذا الشعور الخبيث، الذي يتأتّى منه طول اللسان بالغيبة والنميمة، أو البهتان والافتراء.

٨ ـ فساد القلب:

قال عليه السلام: «... ألا وإنّ في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[3]. واللسان من الجسد، فإذا كان صالحاً، فإنما هو لصلاح القلب. وإن كان فاسداً فإنّما هو لفساد القلب[4].

٩ ـ نقصان الصبر:

فإن الخوض باللسان في الباطل دلالة على نقصان الصبر عند

---

(١) قيل في الاستتار: أي لا يستتر عن الأعين، أو لا يتنزه من البول.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه: البخاري (١ / ٢٠)، ومسلم (كتاب المساقاة) وغيرهما.

(٤) راجع (كفّ اللسان جهاد بل من أفضل الجهاد).

صاحبه، إذ لو كان صابراً، لصبر لسانه عن الحصد، ومن حُرِم الصبر فقد حُرِم الخير الكثير.

كم يفقد هؤلاء من الأجر والثواب؟ كم يفقدون من حسن جزاء الله (سبحانه وتعالى) وفي هذا يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيرِ حِسَابٍ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2].

ويقول ﷺ: «وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»[3].

أيها الخائضون بألسنتكم: اتقوا الله. ولا تزهدوا بمعية الله ورحمته؟

أتزهدون بعطاء الله وخيره، وتقبلون على عطاء الشيطان وشره؟ فلبئس الإقبال ولبئس العطاء.

١٠ ـ الشّعور بالنّقص وضعف الشخصيّة:

وهذا الشعور من الأمراض النفسية التي يعاني منها هذا الصنف من الناس، أمراض قلبية خطيرة. وحتى يُعوِّض النقص الذي يشعر به من دون النّاس، فليس له إلا الطعن في هذا وذاك، ليصبح وإياهم في مرتبة واحدة ـ كما تسوِّل له نفسه ـ أو أنه يثرثر بلسانه آكلاً لحم هذا، وطاعناً في هذا تارة بشكل جدّي، وأخرى بشكل هزلي، ليُضحِك الناس، أو ليقال عنه ذكي

---

(١) الزمر: ١٠.

(٢) البقرة: ١٥٣.

(٣) جزء من حديث متفق عليه.

فهيم، وقد هدّد رسول الله ﷺ هذا الصنف بالويل فقال:

«ويل للذي يُحدِّث بالحديث ليُضحِك به القوم، فيكذب ويلٌ له، ويل له»[1].

١١ ـ ضعف الإرادة:

الخائض بلسانه ضعيف الإرادة ساقط الهمة، لأنه لا يستطيع أن يحكُم لسانه بحُكم الله سبحانه وتعالى، فضلاً على أن يسعى لقيام حكم الله ـ سبحانه ـ في الأرض، فهذا الصنف قليلٌ خيره، كثيرٌ شرُّه.

١٢ ـ الحسد:

إن من بواعث نطق اللسان بالشر الحسد، إذ إنَّ بعض الناس يرَوْنَ أنفسهم أقل منزلة من الآخرين، فلا يقولون: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»[2]، ولكنهم يحسدونهم، ويتجلَّى هذا الحسد للناس بصوَر شتَّى، منها الغيبة للتنفيس عن هذه النفس الحاسدة الحاقدة، وبالنميمة أحياناً أخرى لإيقاع هذا المحسود مع غيره، ولإتعاب باله وإشغاله بالهموم. وبالسُخرية منه أحياناً، ليُضحك الناس عليه، وبالتشكيك والطعن في خُلُقه أحياناً، وربما كان الحسد لمنصب أو جاه أو مال أو علم،وقد نطق ـ من قبل ـ صنفٌ من الناس بالكفر حسداً من عند أنفسهم، كما في سورة النساء من قوله سبحانه:

---

(١) أخرجه: الترمذي، وأبو داود، وغيرهما، وانظر «غاية المرام» برقم (٣٧٦).

(٢) رواه: البخاري «الفتح» (٦٤١٣)، ومسلم (١٨٠٤)، وغيرهما.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا . أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا . أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾[1].

ولعلك ترى القول بالكفر المخلد في النّار في هذه الآيات، أساسه الحسد ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الحسد فقال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يَحِلُّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[2].

١٣ ـ الكِبْر:

وقد يظهر الطّعن والقدح على لسان شخص، لِما يَكمنُ في صدره من الكِبْـر، ونفسـه من العجب، وكـأنّ الكبر تحوّل في نفسه على هيئة كلمات بدت على لسانه، بانت في الغيبة أو البهتان والافتراء، أو التنابز بالألقاب، ذلك لأن وجهه لم يعجبه، أو كلامه لم يستحسنه، أو أن أفعاله خالفت هواه، كل هذا، وهو غافل عن قول النبي ﷺ:

«لا يدخُلُ الجنَّة من كان في قلبه مثقالُ ذرّة من كِبر». قال رجل: إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة. قال: «إنّ الله جميل يُحب

---

(١) من آية: ٥١ ـ ٥٤.

(٢) متفق عليه.

الجمال، الكِبْر بَطَر الحق[1] وغَمْطُ الناس[2]»[3].

هل يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم على راحلته، وأصحابه معه بين يديه، فقال معاذ بن جبل: يا نبي الله أتأذن لي في أن أتقدم إليك على طيبة نفس؟ قال: «نعم»، فاقترب معاذ إليه فسارا جميعاً، فقال معاذ: بأبي أنت يا رسول الله، أسأل الله أن يجعل يومنا قبل يومك، أرأيت إن كان شيء ـ ولا نرى شيئاً إن شاء الله تعالى ـ فأي الأعمال نعملها بعدك؟ فصمت رسول الله ﷺ، فقال: الجهاد في سبيل الله، ثم قال رسول الله ﷺ «نِعْم الشيء الجهاد، والذي بالناس أملك من ذلك»، فالصيام والصدقة؟ قال: «نِعْم الشيء الصيام والصدقة»، فذكر معاذ كل خير يعمله ابن آدم، فقال رسول الله ﷺ: «وعاد بالناس خير من ذلك»، قال: فماذا بأبي أنت وأمي عاد بالناس خير من ذلك؟ قال: فأشار رسول الله ﷺ إلى فيه قال: «الصمت إلا من خير»، قال: وهل نؤاخذ بما تكلمت به ألسنتنا قال: فضرب رسول الله ﷺ فخذ معاذ ثم قال:

«يا معاذ ثكلتك أمك، وهل يَكُبّ الناسَ على مناخرهم في جهنم إلا ما نطقت به ألسنتهم، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً، أو يسكت عن شر، قولوا خيراً تغنموا، واسكتوا عن شر تسلموا»[4].

---

(١) بطر الحق: دفعه وردّه.

(٢) غمط الناس: ازدراؤهم واحتقارهم.

(٣) رواه: مسلم (٩١) (كتاب الإيمان) (باب تحريم الكِبر وبيانه).

(٤) أخرجه: الحاكم، وغيره، وانظر «الصحيحة» برقم (٤١٢).

وعن معاذ رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت، يا رسول الله ﷺ! أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال:

«لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسَّره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت»، ثم قال:

«ألا أدلّك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّة[1]، والصدقةُ تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل» قال: ثم تلا: «﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾» حتى بلغ «﴿يَعْمَلُونَ﴾»[2] ثم قال:

«ألا أخبرك برأس الأمر، وعموده، وذروة سنامه[3]» قلت: بلى يا رسول الله قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد» ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كلّه»! قلت: بلى يا نبي الله، فأخَذَ بلسانه وقال: «كُفَّ عليك هذا» فقلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثَكِلَتْكَ أمك[4] يا معاذ، وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم،

---

(١) أي وقاية.

(٢) السجدة: ١٦، ١٧.

(٣) أعلاه.

(٤) فَقَدَتْك، وفي «النهاية»: «... ويجوز أن يكون من الألفاظ التي تجري على ألسنة العرب، ولا يُراد بها الدعاء، كقولهم تربت يداك، وقاتلك الله».

هذا وإن كان دعاء؛ فهو طهور وزكاة وقربة له من الله تعالى يوم القيامة، كما في =

أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[1].

ما هي حصائد الألسن؟

قد تقدَّم معنا قوله ﷺ: «هل يَكُبُّ الناسَ في النَّار على وجوههم، أو على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم».

فما من مؤمن إلاَّ وَجِلَ قلبه، بعد سماع الكبِّ في النّار على الوجوه أو المناخر، وإنّ كلمة «إلاّ» أخافت وأفزعت، وما بعدها أشد تخويفاً، وأكثر ترهيباً. وهي كلمة «حصائد ألسنتهم».

تُرى ما هذه الحصائد التي تُكبّ الناس في النّار، إنها كثيرة، وما أكثرها! فهيّا بنا نتذكرها ونتعرفها لنجتنبها، **فما هي حصائد الألسن؟**

حصائد الألسن هي:

الشرك

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3].

= حديث مسلم (٢٦٠٣) «... فأيُّما أحَدٍ دعوْتُ عليه مِن أُمَّتي بدعوة ليس لها بأهل؛ أن يجعلها له طهوراً وزكاة وقُربة يُقرِّبُهُ بها منه يوم القيامة».

(١) رواه: الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وهو من «إرواء الغليل» برقم (٤١٣)، و«صحيح سنن الترمذي» برقم (٢١١٠)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (٣٢٠٩).

(٢) النساء: ٤٨.

(٣) لقمان: ١٣.

وقال أيضاً: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[1].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، فمازال يُكرِّرها حتى قلنا ليته سكت»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات: قالوا: يا رسول الله، وما هنَّ؟ قال: الشرك بالله، والسّحر وقتل النّفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتّولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[3].

وفي الحديث: «من مات وهو يدعو من دون الله نِدّاً دخل النّار»[4].

والآيات والأحاديث في ذمّ الشرك كثيرة، والشّرك بابه كبير، ومجاله واسع، ولكن أذكر باختصار، ما يتعلق في بحثي حصائد الألسن، قدر الاستطاعة إن شاء الله تعالى، فمن صُوَر الشرك:

الكذب على الله تعالى والكذب على رسوله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ

---

(١) المائدة: ٧٢.

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري ومسلم وغيرهما.

(٤) رواه البخاري.

﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[2].

وقال سبحانه أيضاً: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[3].

وفي الحديث: «من كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار»[4].

وعن سمرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: «من حدَّث عني بحديث يُرىٰ أنه كذب، فهو أحد الكاذبين[5]»[6].

إن المسلمين اليوم متفقون على تحريم السرقة، والرشوة والقتل واتفقوا على أن الكذب خلق ذميم... ولكن للأسف لم يستعظموا الكذب على رسول الله ﷺ إلاَّ مَن رحم الله ـ وقليل ما هم ـ وذلك بسبب قلّة العلم

---

(١) الأعراف: ٣٧.

(٢) الزمر: ٦٠.

(٣) الأعراف: ٣٣.

(٤) حديث متواتر.

(٥) قال النووي في «شرح مسلم» (١ / ٦٤٠): «قال القاضي عياض: الرواية فيه عندنا «الكاذبين» على الجمع، ورواه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه «المستخرج على صحيح مسلم» في حديث سمرة الكاذبَين بفتح الياء وكسر النون على التثنية».

(٦) رواه مسلم في مقدمته (باب وجوب الرواية عن الثقات...)، وغيره.

بهذا الدين وحقيقته[1].

إن الكذب على الله يأتي في صور مختلفة. منها: إطلاق صفات الله تعالى بلا دليل، أو الكذب في مراد قوله سبحانه، بتفسير لا يليق.

والكذب على الله تعالى ورسوله ﷺ فيه تحليل حرام وتحريم حلال، وهذا كُفر.

وإذا عَلِمْنا أن الدين قال الله تعالى، قال رسول الله ﷺ، فقد عَلِمنا أن الكذب على الله تعالى وعلى رسوله الكريم، هو الإتيان بدين آخر غير الإسلام، وهذه جريمة، وفي ذلك أيضاً، إيهام النّاس أن هذا الدين المُحرَّف، هو الدين الصحيح الذي لا دين غيره.

وقد يسوّغ البعض هذا الكذب بطيب النيّة، وحسن القصد، فنقول:

«ما قيمة الكتب السماوية؟ وما قيمة الرسل والأنبياء، إن كانت النِّية وحدها هي الأساس».

---

(١) أقول هذا الكلام مع علمي بقيمة النبي ﷺ في نفوس المسلمين، إذ بحبهم له وبإقرار ما أُنزل عليه من ربه صاروا مسلمين. وأنا أعلم أنه ما من مسلم يرضى أن يكذب على النبي ﷺ، إذ لو فعل هذا لما كان من أهل الإسلام.

إذا علمت ذلك ـ رعاك الله ـ فاعلم أنّما أتي المسلمون من هذا الباب لقلّة معرفة الصحيح من السقيم، والثابت من الضعيف، وعدم رجوعهم لأهل الاختصاص في هذا الأمر، فكل مطبوع عندهم صحيح، وكل من قال: «قال رسول الله ﷺ صُدِّق»، وكأنما ساق قوله بسند البخاري، حتى لقد رأيت مرَّة في أحد المستشفيات نصيحة صحيّة مطبوعة مُلصقة، أُضيفت قبلها عبارة بخطّ اليد: «قال رسول الله ﷺ»، وأدهى من ذلك ما هو شائع بين الناس، استشهادهم واستدلالهم بـ«الأقربون أولى بالمعروف» وتصديرهم لها بـ«قال الله تعالى» والأمثلة كثيرة لا تُعَدُّ ولا تُحصى.

الفتوىٰ بلا علم

قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبْض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً، اتخذ الناس رؤساء جُهّالاً فسُئِلوا، فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلّوا»[2].

وها نحن ـ ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله ـ نرى الفتاوى بغير علم تشيع وتنتشر في المجتمع، حتى إننا لنرى امتناع النَّاس عن الفتوى، بأمور الدنيا أمام المتخصصين بها، كالتحرج من الإجابات الطبيّة أمام الطبيب، والهندسية أما المهندس، ولكنّنا لا نلحظ الامتناع عن الافتاء بأمور الدين، مع الاعتقاد أن الله سبحانه يسمعنا حين نتكلم، ويبصرنا عندما نفتي.

ومن الأسباب الداعية إلى الإفتاء بغير علم، حب الظهور والشهرة، وكسب قلوب الناس، والخوف من أن يُظَنَّ العالم جاهلاً بمسألة ما أمام الناس إن قال: «لا أعلم».

وهذا إنما سببه ضعف إقبال القلوب على الله تعالى، وقلة النّظر في الكتب، وصرف الوقت في طلب الدنيا، فلا وقت عنده للتعلم كي يُفتي

---

(١) الأعراف: ٣٣.

(٢) البخاري ومسلم وغيرهما.

على بصيرة.

وربما يسمع ويقرأ الإنسان العجب العجاب من الفتاوى، حتى لقد بلغ الأمر بخطيب في أحد مساجد الشارقة أن يُفتي بجواز العمل والتوظيف بالمصارف الربوية، ويقول:

[«إن تخلى عنها المسلمون استولى عليها الكفرة والملحدون، وفي هذا ضعف للمسلمين وإذلال». وكان يظن أنّه يأوي إلى ركن شديد عندما استدل بـ«قال فلان من المعاصرين».

وأسأل الشيخ: أليس السعي لتقوية المسلمين وإعزازهم وحمايتهم من الضعف والذل والهوان واجباً؟ فإن قال بلى، أقول له: إذاً فالعمل في المصارف الربوية وإدارتها واجب على المسلمين[1].

لماذا لم يفكر النبي ﷺ وأصحابه هذا التفكير، فيقوموا بهذا الواجب خير قيام؟ أوَ ليس للاقتصاد والمال والتجارة دور فعَّال في حياتهم؟

وكيف فَعَلْتَ بقوله تعالى: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[2]؟ وكيف فعلت بحديث جابر (رضي الله عنه)[3]: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: هم فيه سواء»[4].

الله تعالى يلعن هؤلاء المتعاملين، وأنت يا شيخ تُبارك عمل هؤلاء

---

(١) هذا الردّ لإحدى الأخوات الفاضلات.

(٢) البقرة: ٢٧٩.

(٣) وغيره من الأحاديث.

(٤) مسلم (١٥٩٨) (كتاب المساقاة) وغيره.

وتدعو إليه وتحثُّ عليه؟

وها هم المسلمون يستلمون هذه المراكز الربوية، فأين العزة والقوة والمنعة؟! وأين اندحار الكفرة والملاحدة؟!

وإننا إن تركْنا أمر الفتوى بلا ضابط أو وازع أو رادع؛ حَرّم كل شخص ما اشتهى وأحَلّ ما رَغِب، وأصبح الحرام حلالاً، والحلال حراماً، واختلفت الموازين، وتناطحت المقاييس.

فتزوير الشهادات جائز بل واجب!

وتزوير النقود لإغاثة البائسين أمرٌ طيب!

وسرقة الأغنياء لإطعام الفقراء شيء حَسَن!

وقتْل المريض الذي استعصى شفاؤه فيه إراحة له، وقربى من الله تعالى!

وبهذه المناسبة[1] أذكر نكتة حكاها أحد الإخوة تعبّر عن الألم المرير الذي نعانيه من هذا التخبّط، وفيها يقول:

ضاعت دابة لرجل فقال: يا رب لا توقِعها بيد شيخ، فسألوه ولِمَ؟ قال لأنه سيجد له مائة فتوى في الانتفاع بها.

---

(١) فإذا لم تصحَّ هذه الحكاية؛ فهي تعبّر عن واقع صحيح تعانيه الأمّة وتحكيه سلوكيّاتها ـ ونسأل الله السلامة ـ.

الحكم والتحاكم بغير ما أنزل الله تعالى[1]

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ، وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾[5].

وقال سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[6].

وقال سبحانه: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[7].

---

(١) اعلم ـ ثبتنا الله وإياك ـ أنَّ مجال الكتابة في هذا الباب واسع، ولي في تفصيله رسالة «الحاكمية في ضوء الكتاب والسنة النبوية»، يسّر الله تعالى إخراجها، ولكني سأختصر الكتابة بما يتعلق بـ«حصائد الألسن» قدْر إمكاني إن شاء الله تعالى.

(٢) المائدة: ٤٤.

(٣) المائدة: ٤٥.

(٤) المائدة: ٤٧.

(٥) النساء: ٦٠.

(٦) الأعراف: ٥٥.

(٧) النساء: ٦٥.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «دعوني ما تركتكم، فإنّما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأْتوا منه ما استطعتم»[2].

وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن أُمِّر عليكم عبد حبشي،فإنّه من يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسّكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«كلّ أمّتي يدخلون الجنّة إلّا من أبىٰ، قالوا: يا رسول الله! ومن يأبىٰ؟ قال: من أطاعني دَخَل الجنّة، ومن عصاني فقد أبىٰ»[4].

وعنه أيضاً قال: قال عليه الصلاة والسلام:

«حدٌّ يُعمل به في الأرض، خير لأهل الأرض من أن يُمْطَروا أربعين صباحاً»[5].

---

(١) النور: ٥١.

(٢) البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة)، ومسلم نحوه (كتاب الحج).

(٣) أخرجه: أبو داود والترمذي والدارمي وغيرهم وهو من الإرواء برقم (٢٤٥٥).

(٤) رواه: البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة) وغيره.

(٥) النسائي، وابن ماجه، وغيرهما، وهو في «السلسلة الصحيحة» برقم (٢٣١).

والحكم بغير ما أنزل الله تعالى، والتحاكم لغير ما أنزَل الله تعالى أيضاً، من أشدّ أنواع الكفر[1] الذي يجنيه اللسان.

ولا تحسبنّ أنَّ قضية الحاكمية تتعلق مسؤوليتها بفرد أو طائفة فحسب، فكل إنسان معرض لها. حسب مسؤوليته، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما:

«كُلّكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده، ومسؤول عن رعيته ـ وحسبت أنْ قد قال ـ: والرجل راع في مال أبيه، ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع، ومسؤول عن رعيَّته»[2].

وعن عدي بن حاتم (رضي الله عنه) قال: أتيت النبي ﷺ وفي عُنُقي صليبٌ مِن ذهب، فقال: «يا عديُّ اطرَح عنك هذا الوثن»، وسمعتُه يقرأ في سورة براءة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم ورُهْبَانَهُم أَرْباباً مِنْ دُونِ الله﴾ قال:

«أما إنّهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئاً استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه»[3].

---

(١) والكُفر كُفران: اعتقادي يعتقده المرء بقلبه، وعملي يعمل به ظاهراً، وينكره قلبه من غير اعتقاد. فالقسم الأخير لا يخلد صاحبه في النار، عافانا الله من النوعين وممَّا يُغضب الله تعالى.

(٢) البخاري «الفتح» (كتاب الجمعة) (باب الجمعة في القرى والمدن)، ومسلم نحوه وغيرهما.

(٣) رواه: الترمذي وغيره، وهو في «صحيح سنن الترمذي» برقم (٢٤٧١)، وفي «غاية المرام» برقم (٦).

فاعلم ـ أخي المسلم ـ أنَّ تحليل الحرام وتحريم الحلال واتباع ذلك كُفر، والقوانين الوضعية التي تحكم بلاد الدنيا. ما هي إلا كلمات خَرَجت من ألسنة، شرعت من الدين ما لم يأذن به الله، جعلت البشرية تتخبط في ظلمات بعضها فوق بعض.

النَّذْر لغير الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من نَذَر أن يطيع الله، فلْيُطعه، ومن نذر أن يعصيَ الله فلا يعْصه»(٢).

وما أكثر هؤلاء الذين ينذرون لغير الله، سواء كان ذلك للأنبياء، أو الأولياء أو الصالحين، حتَّى اتخذوهم آلهة من دون الله تعالى، وحتَّى أصبحت قبورهم مساجد!

ولا ينجو من الشرك من يقول: «إنني أذبح لله تعالى عند هذا النبي أو الولي».

ونسأل هؤلاء: لِمَ الذبح عند الأنبياء والأولياء؟ أليرفعوا أعمالكم لله تعالى؟ وهل من فرق بين هذا وقول المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾(٣)؟!

---

(١) البقرة: ٢٧٠.

(٢) رواه: البخاري وغيره.

(٣) الزمر: ٣.

التّوجُّه بالدعاء لغير الله سبحانه وتعالى

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: يا غلام! احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجدْه تجاهك، وإذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استَعنْتَ فاستعن بالله، واعلَمْ أنَّ الأمّة لو اجتمَعَت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كَتَبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كَتَبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام وجَفّت الصّحف[3]».

- ما أكثر ما يتوجّه الناس بالدعاء للأنبياء والأولياء والصالحين، ويتركون التوجّه إلى الله تعالى القائل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[4].

وما أجهل وأظلم من يتوجه بالدعاء لغير الله تعالى، فإن الدعاء نوع من أنواع العبادات، فمن صَرَفها لغير الله فقد عَبَد غير الله تعالى، والرسول

---

(١) يونس: ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) الأحقاف: ٥.

(٣) رواه: أحمد، والترمذي، وهو في «مشكاة المصابيح» برقم (٥٣٠٢).

(٤) غافر: ٦٠.

ﷺ يقول: «الدعاء هو العبادة»[1].

تحريم الاستسقاء بالأنواء

قال تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[2].

وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهنّ: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» وقال: «النائحة إذا لم تَتُبْ قبل موتها، تُقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قَطِران[3]، ودِرْع من جَرَب»[4].

وعن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، في إثْر السّماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مُطِرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأمّا من قال: مُطِرنا بِنَوْء كذا وكذا، فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب»[5].

---

(١) رواه: أبو داود وغيره، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وهو في «المشكاة» برقم (٢٢٣٠).

(٢) الواقعة: ٨٢.

(٣) جاء في تفسير ابن كثير في قوله تعالى: ﴿سرابيلهم من قطران﴾ أي: ثيابهم التي يلبسونها من قطران، وهو الذي تهنأ به الإبل، أي تُطلى، قال قتادة: وهو ألصق شيء بالنار. ثم نقل عن ابن عباس ـ إن صحّ ـ أنه قال: القَطِران: هو النحاس المذاب، وجاءت قَطِران في «لسان العرب» بمعنى النحاس الذائب.

(٤) رواه: مسلم (٩٣٤)، وغيره.

(٥) البخاري (١ / ٢١٤)، مسلم (٧١) (كتاب الإيمان).

كُفْر النِّعمة

قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[2].

وفي الحديث: (. . . وأمّا من قال: «مُطِرنا بنَوْء كذا وكذا» فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»[3].

والكفر بالنعمة، ربما يأتي بألفاظ شتى، تسخطاً من نوع طعام، أو شراب، أو مسكن، أو نحو ذلك.

سؤال الكهان والعرافين

عن صفية[4] عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنّه قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء، لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة»[5].

وعن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «من أتى عرافاً أو كاهناً، فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنْزل على محمد»[6].

---

(١) النحل: ٨٣.

(٢) الإنسان: ٣.

(٣) وَرَدَ بتمامه في باب تحريم الاستسقاء بالأنواء.

(٤) هي بنت أبي عبيد كما في «مختصر صحيح مسلم».

(٥) عن «صحيح مسلم» (٢٢٣٠).

(٦) رواه: أحمد في «مسنده»، وغيره وهو في «غاية المرام» برقم (٢٨٥).

جاء في «كتاب التوحيد» لمحمد بن عبد الوهاب (ص ٦٦): قال البغوي: العراف الذي يَدَّعي معرفة الأمور بمقدّمات يستدلّ بها على المسروق ومكان الضالّة، ونحو ذلك، =

وهؤلاء الدجالون المخادعون الماكرون، قد خَدَعوا الكثير، وسَلَبوا منهم الأموال، سَحَروا أعين الناس واسترهبوهم، أعطوهم الوعود في تحقيق مُرادِهم ونيل أوطارهم، حتى إنَّك لترى هؤلاء الدجالين مُنعمِين مُترَفين من عظيم المال الذي أخذوه زوراً وعدواناً، حتى صار هذا الدجل وظيفة عند هؤلاء، من أرقى الوظائف، وربما حسدهم عليها الجاهلون، وتمناها المتمنّون الأغبياء الذين لا عقول لهم.

الحلف بغير الله تعالى

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ألا إنّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً، فلْيحلِف بالله أو ليصمُت»(١).

عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا بالطواغي(٢) ولا بآبائكم»(٣).

وقال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كَفرَ أو أشرك»(٤).

وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حَلَف بالأمانة فليس منا»(٥).

= وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير، وقال شيخ الإسلام، ابن تيمية: العرّاف اسم للكاهن، والمنجّم، والرمّال، ونحوهم ممن يَتكلّم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

(١) البخاري (٨ / ١٦٤)، مسلم (١٦٤٦) (كتاب الأيمان).

(٢) جمع طاغية وهي الأصنام.

(٣) رواه: مسلم (١٦٤٨) (كتاب الأيمان).

(٤) أخرجه: الترمذي، وأبو داود وغيرهما، وهو من «الإرواء» برقم (٢٥٦١).

(٥) رواه: أبو داود بإسناد صحيح، وهو في «السلسلة الصحيحة» برقم (٩٤).

قال شيخنا الألباني ـ حفظه الله تعالى ـ في «الصحيحة» (١ / ١٤٩) برقم (٩٤):

(قال الخطابي في «معالم السنن» تعليقاً على هذا الحديث:

«هذا يشبه أن تكون الكراهة فيها؛ من أجل أنه إنما أُمر أن يحلف بالله وصفاته، وليست الأمانة من صفاته، وإنما هي أمْر من أمره، وفرْض من فروضه، فنُهوا عنه، لما في ذلك من التسوية بينها وبين أسماء الله (عز وجل) وصفاته».

والحلف بغير الله، يشمل الملائكة والأنبياء والرسل والأولياء والصالحين والكعبة والسماوات... الخ.

الاستعاذة بغير الله تعالى[1]

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوْهُمْ رَهَقاً﴾[2].

النَّهي عن قول ما شاء الله وشاء فلان

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثمّ شاءَ فلان»[3].

---

(١) الاستعاذة: «الالتجاء، والعياذ، تكون لدفع شر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير، والاستعاذة بمعنى الاستجارة». انظر «تفسير ابن كثير» المجلد الأول.

(٢) الجنّ: ٦، ومعنى رهقاً كما في «تفسير ابن كثير»: خوفاً وإرهاباً، وقيل إثماً.

(٣) رواه: أبو داود، وابن ماجه، وغيرهما، وهو في «الصحيحة» برقم (١٣٧).

الحلف باللَّه كاذباً

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله أَذِنَ لي أن أحدّث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض، وعنقه مُنثن تحت العرش، وهو يقول «سبحانك ما أعظمك ربّنا»! فيردّ عليه: ما يعلم ذلك مَن حلف بي كاذباً»[1].

الكفر بإنكار اسم من أسماء اللَّه تعالى أو صفة من صفاته

كأن ينكر أن لله سبحانه يداً[2]، أو أنه سبحانه سميع عليم، أو ينكر عُلُوّ الله تعالى... وأنه في السماء.

الكفر بالسبّ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[3].

وقال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4].

---

(١) رواه: الطبراني في «الأوسط» كما في «الأحاديث الصحيحة» برقم (١٥٠).

(٢) خلاصة عقيدة أهل السنة والجماعة في اليد: «إن لله يداً تليق بجلاله سبحانه، لا يجوز إنكارها وجحودها، ولا ينبغي تعطيل هذه الصفة، ولا القول بأنّ المراد بذلك القدرة فقط، كما لا ينبغي تشبيهها بأيدي المخلوقات، وما يُقال في هذا يُقال في باقي الأسماء والصفات التي وردَت في حقّ الله سبحانه وتعالى في الكتاب والسنة، فبهذا لا نُعطّل ولا نُشَبه ولا نؤوّل ولا نمثّل».

(٣) الأحزاب: ٥٧.

(٤) التوبة: ٦١.

ومن الكفر سبّ الله سبحانه، أو سبّ رسوله ﷺ، أو سبّ القرآن، أو السُنَّة، أو الدين، أو الملائكة أو أيّ رسول أو نبيّ.

وجاء في كتاب شيخ الإسلام[1] ابن تيمية رحمه الله:

(قال الإمام إسحق بن راهويه أحد الأئمة الأعلام: «أجمع المسلمون على أن من سبّ الله، أو سبّ رسوله ﷺ، أو دفعَ شيئاً مما أنزل الله عز وجل، أو قتل نبياً من أنبياء الله عز وجل، أنّه كافر بذلك، وإن كان مُقِرّاً بكل ما أنزَل الله».

وقال محمد بن سحنون «أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمتنقّص له كافر»).

وقال شيخ الإسلام:

وتحرير القول فيه[2]: «أن السّاب إن كان مسلماً فإنه يكفر، ويقتل[3] بغير خلاف وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم».

إنكار القدر

وهؤلاء هم مجوس أمّة محمد ﷺ كما قال عليه الصلاة والسلام: «لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون: لا قَدَر، إنْ مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»[4].

---

(١) «الصارم المسلول» مطبعة «العاصمة» بالقاهرة (ص ٥).

(٢) أي من سبّ الرسول ﷺ.

(٣) في حالة وجود حُكم الإسلام، وذلك بأمرٍ من الحاكم المسلم.

(٤) رواه: أحمد في «مسنده»، وهو في «المشكاة» برقم (١٠٧).

النَّهي عن المراء في القرآن

عـن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال عليه الصلاة والسلام: «المراء في القرآن كُفر»[1].

البدع

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[3].

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا، ما ليس فيه، فهو رد»[4].

وفي الحديث العظيم الذي يرويه العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطَّاعة، وإن أُمِّرَ عليكم عبد حبشي، فإنّه من يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنـة الخلفـاء المهـديين الراشدين، تمسَّكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كل محدثة بدعة، وكلّ بدعة

---

(١) رواه: أبو داود، وابن حبان، وغيرهما، وهو من «صحيح الترغيب» برقم (١٣٨).

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) آل عمران: ٣١.

(٤) البخاري ومسلم وغيرهما، وردّ بمعنى: مردود، أي لا يُقبل.

ضلالة»[1].

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يَدَع بدعته»[2].

والبدع من أعظم الذُّنوب التي يُكبُّ أصحابها في النّار، وقد تكون هذه البدع في العقيدة أو الأذكار أو الأدعية أو الصلوات، وما أكثرها، بل إننا ما نرى من عقيدة اعتُقدت أو عبادة عُبدت، إلا وللبدعة فيها الحظ الأكبر، إلا ما سلّم الله تعالى وعَصَم، وهذا أقلّ من القليل.

وينبغي على المسلم أن يعبد الله تعالى بما شرع، وأن ينظر في العبادة قبل أن يأتيها، هل عليها دليل من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ، وهل كانت هذه العبادة من دأب السلف الصالح أم لا، وإلا فلست مكلفاً بالعمل، وهو الأنجى والأجدى، وفيه مرضاة الله سبحانه، وفيه راحة لك من عناء عبادةٍ لم تُكلَّفها.

اليمين الكاذبة عمداً

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا، أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

---

(١) أخرجه: أبو داود، والترمذي، والدارمي، وغيرهم، وهو من «الإرواء» برقم (٢٤٥٥) وتقدّم.

(٢) رواه: الطبراني وغيره «صحيح الترغيب» (٥١) «السلسلة» (١٦٢٠).

(٣) آل عمران: ٧٧.

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «من حَلَف على مال امرىء مسلم بغير حقّه، لقي الله وهو عليه غضبان» قال: ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا . . .﴾ إلى آخر الآية[1].

وعن أبي أمامة (رضي الله عنه)، أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حقَّ امرىء مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار وحَرّم عليه الجنة، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: وإن قضيباً من أراك»[2].

وفي البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: الكبائر: الإشراك بالله ،وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس».

وفي رواية له أنَّ أعـرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الكبـائـر؟ قال: «الإشـراك بالله» قال: ثم ماذا؟ قال: «اليمين الغموس» قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: «الذي يقتطع مال امرىء مسلم».

شهادة الزور

قال تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[3].

وقال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ

---

(١) البخاري ومسلم وهذا لفظه، وغيرهما.

(٢) رواه: مسلم (كتاب الإيمان) (باب وعيد من اقتطع حقّ مسلم بيمين فاجرة بالنار).

(٣) الحج: ٣٠.

الزُّورَ﴾[1].

وعن أبي بكرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئاً، فقال: ألا وقول الزّور، قال: فمازال يكرّرها حتى قُلْنا: ليته سكت»[2].

وممّا جاء في كتاب الكبائر[3]: «شاهد الزّور قد ارتكب عظائم:

أحدها: الكذب والافتراء. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[4].

ثانيها: أنّه ظَلَم الذي شَهِد عليه، حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه.

ثالثها: أنّه ظلم الذي شهد له بأن ساق إليه المال الحرام، فأخذه بشهادته.

القذف

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ولَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[5].

---

(١) الفرقان: ٧٢.

(٢) رواه: البخاري (كتاب الشهادات) (باب ما قيل في شهادة الزور)، ومسلم، وغيرهما.

(٣) بحذف يسير.

(٤) غافر: ٢٨.

(٥) النور: ٢٣.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ، فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾[1].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»[2] قيل يا رسول الله وما هن؟ قال:

«الشرك بالله، والسحر، وقتْل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكْل مال اليتيم، وأكْل الربا، والتولّي يوم الزحْف[3] وقذْف المحصنات الغافلات المؤمنات»[4].

وفي الحديث: «... ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال[5] حتى يخرج مما قال، وليس بخارج»[6].

بيَّن الله سبحانه في كتابه العظيم أنّ القاذف ملعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم، وعليه في الدنيا الحدّ ثمانون جلدة وتسقط شهادته.

ومن نجا من الحدّ في الدنيا فلن ينجو من عذاب الآخرة.

فقد ثبت في الصحيحين[7] عن رسول ﷺ أنه قال: «من قذف

---

(١) النور: ٤.

(٢) الموبقات: المهلكات.

(٣) الفرار من ساحة القتال.

(٤) رواه: البخاري ومسلم (كتاب الإيمان) (باب بيان الكبائر وأكبرها).

(٥) ردغة الخبال: هي عُصارة أهل النار، كما جاء في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٧٢٢).

(٦) أخرجه: أحمد، وأبو داود، وغيرهما، وانظر «الإرواء» تحت رقم (٢٣١٨).

(٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال».

أيها القاذفون الآثمون! أين تذهبون من الله تعالى؟.. أين المفرّ من الله تعالى؟ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ . يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[1].

المسلم يستر على أخيه المسلم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[2].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا؛ إلاَّ سَتَره الله يوم القيامة»[3].

وفي الحديث «... ومن سَتَر مسلماً، سَتَره الله في الدنيا والآخرة»[4].

وفي حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) «... المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذُلُه ولا يحقره، التقوى ها هنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرّات، بحسْب امرىء من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم، كلّ المسلم على

---

(١) القيامة: (١١ ـ ١٣).

(٢) النور: ١٩.

(٣) رواه: مسلم (كتاب البر والصّلة والآداب) (باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه...).

(٤) جزء من حديث رواه مسلم (كتاب الذكر والدعاء) (باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن..) وغيره.

المسلم حرام، دَمُه وماله وعِرْضه»[1].

وفي الحديث: «من لا يرحم الناس، لا يرحمه الله»[2].

وعن معاوية (رضي الله عنه» قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّك إن اتبعْتَ عورات الناس؛ أفسدْتَهم أو كِدْت أن تُفسدهم»[3].

وعن أبي برزة الأسلمي (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفضِ الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيّروهم ولا تتّبعوا عوراتِهم، فإنه من يتبَعْ عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن يتّبع الله عورته، يفضحْه ولو في جوف رحله»[4].

ما الذي يجنى من عدم الستر؟

١ ـ نيل غضب الله تعالى.

٢ ـ إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا.

٣ ـ انتشار البغضاء والنّزاع بين المسلمين، وفقدان بعضهم الثقة ببعض.

٤ ـ فتنة أصحاب الذنوب في رفع حجاب الحياء، والمجاهرة بالمعاصي.

---

(١) عن «صحيح مسلم» (كتاب البر والصّلة والآداب) (باب تحريم ظُلم المسلم...).

(٢) رواه: مسلم، وهو في البخاري نحوه.

(٣) أبو داود وغيره «صحيح أبي داود» (٤٠٨٨).

(٤) عن «صحيح الترمذي» برقم (١٦٥٥) وتقدّم.

البهتان والافتراء

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[1].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «أتدْرون ما الغيبة»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذِكْرُكَ أخاكَ بما يكره». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتّه[2]»[3].

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ:

«من حالت شفاعته دون حدّ من حدود الله، فقد ضادّ الله في أمره، ومن مات وعليه دين فليس ثمّ دينار ولا درهم، ولكنّها الحسنات والسيئات، ومن خاصَم في باطل وهو يعلم، لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، حُبس في ردغة الخبال[4] حتى يأتي بالمخرج ممّا قال»[5].

بُشرى لكم أيها المفترون...

---

(١) النساء: ١١٢.

(٢) بهتّه: أي افتريت عليه الكذب، فهي هنا أشدّ من الغيبة، لأنها تزيد على ذِكْر ما يكرهه مِن خلْفه بالافتراء عليه.

(٣) رواه: مسلم، في صحيحه (كتاب البر والصلة والآداب) (باب تحريم الغيبة) وغيره.

(٤) أخرجه: أبو داود، والحاكم، وغيرهما، وهو من «السلسلة الصحيحة» برقم (٤٣٧).

بُشرى لكم بردغة الخبال. . .

ويحكم ما أسهل تعدي حدود الله عندكم. . .

ما أسهل ارتكاب الذنوب والمعاصي على قلوبكم وجوارحكم. . .

كم قلتم في المؤمنين ما ليس فيهم؟ . .

كم اتهمتموهم بالخيانة؟ . . كم اتهمتموهم بأمور لم يعرفوها أو يقترفوها، فتربصوا ما وعدكم به رسول الله ﷺ.

قولوا في المؤمنين ما ليس فيهم، وإلى ردغة الخبال وبئس المصير إن شاء الله تعالى.

إنكم مُهدَّدون ـ أيها المُفترون ـ بحبس رهيب مخيف مفزع، لا كحبس الدنيا.

إنه حبس على جسر جهنم حتى تخرجوا مما قلتم.

أما سمعتم قوله ﷺ:

«من رمى مسلماً يريد به شينه[1]، حَبَسه الله على جسر جهنّم حتى يخرج مما قال»[2]؟

ما أشدّ فراركم من سجون الدنيا.

أين فراركم من حبس الله تعالى؟ ولكنه حبسٌ ليس فيه صنوف الطعام

---

(١) أي: عيبه ونقصه.

(٢) رواه: أبو داود وغيره، وهو من «صحيح الترغيب والترهيب» (باب الترهيب من الغيبة والبهت).

والشراب.

إنّ فيه لكم من صنوف العذاب والآلام ما تكرهون.

ومن صُوَر البهتان والافتراء أن يتناقش اثنان في مسألة شرعية، وينقل أحدهما رأي عالم من العلماء، فيقول الآخر: إن كل إنسان يخطىء ويصيب، وأيُّ عالم مهما بلغ علمه غير معصوم، فيقول الأول: «إنّه يقول عن العالم الفُلاني إنه لا يحسن الفتوى وليس بعالم»، فيسْمعُ الناسَ القولَ، وربّما حملهم هذا على العداء والخصومة.

أو أنَّ شخصاً سأل عالماً عن حكم صلاة الجمعة للمسافر، فيفتيه بذلك، وينقل له حديث رسول الله ﷺ «ليس على مسافر جمعة»[1]، فيشيع آخر سمع هذه الفتوى؛ أنَّ هذا العالم يُفتي بعدم وجوب صلاة الجمعة، والأمثلة كثيرة، وكثيرة جداً.

كم من النّاس أغرقتهم الهموم، وأعيتهم الغموم، من افتراءات وأكاذيب وأباطيل صنعها أقوام لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة؟ ولمثل هؤلاء نقول:

وعند الله تجتمع الخصوم

التوبةُ من البهتان والافتراء

وقيل في توبة من يقع في البهتان[2] أنه يحتاج إلى:

---

(١) أخرجه: الدارقطني وغيره، وانظر «الإرواء» تحت حديث (٥٩٤).

(٢) كنت قد قرأت هذا في أحد الكتب، ثم نسيت اسمه، وبحثت في مظانّه حتى =

١ ـ أن يرجع للقوم الذي تكلّم بالبهتان عندهم.

٢ ـ أن يذهب للذي قال عليه البهتان.

٣ ـ أن يستغفر الله، فليس شيء من الذنوب أعظم من البهتان، وقد قَرَن الله تعالى البهتان بالكفر، فقال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[1].

عِظم حُرمة المؤمن

عن عبد الرحمن بن أبي بَكْرَةَ عن أبيه ذَكَرَ النبيَّ ﷺ، قعد على بعيره، وأمسك إنسانٌ بخطامه أو بزمامه، قال: أي يوم هذا؟ فسكَتْنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه، قال أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى قال: فأي شهر هذا؟ فسكَتْنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس بذي الحجة؟ قلنا: بلى، قال: فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام. كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب، فإنّ الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه»[2].

المؤمن أعظم حرمة من الكعبة

لقد نظر عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) يوماً إلى الكعبة فقال: «ما أعظمك وأعظم حرمتك! والمؤمن أعظم حرمةً منك»[3].

= أعياني البحث، ولم أجده، ولعله يتيسر لي معرفته في قابل الطبعات (إن شاء الله) وأرجو ممن يعرف ذلك من إخواني القراء أن يدلّني عليه، والله والموفق.

(١) الحج: ٣٠.

(٢) رواه: البخاري (١ / ٢٦)، ومسلم (١٦٧٩).

(٣) أخرجه: الترمذي وابن حبان، وغيرهما، وهو في «غاية المرام» برقم (٤٣٥).

أوليس لنا في هذا عبرة؟

أوليس لنا في هذا ذكرى؟

وأين نحن من هذه المعاني العظيمة السّامية؟

ولـو أن شخصـاً أراد أن يتعـدّى على حُرمـةِ الكعبـة؛ لرأينا إنكار المسلمين عليه من مشـارق الأرض ومغـاربها ـ والحمد لله ـ، ولكننا مع الأسف لا نرى هذا الإنكار على من يتعدى على حرمة المسلم، وحرمته أعظم من حرمة الكعبة.

وما أكثر صور هذا التعدي، سواء كان بالقتل أو التشريد أو الشتم أو الافتراء أو السخرية أو الطعن! وها هو واقع المسلمين خير شهيد.

الكذب

قال سبحانه: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(١).

وقـال سبحـانه: ﴿إِنَّما يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(٣).

وقال سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾(٤).

وعن ابن مسعـود (رضي الله عنـه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ

---

(١) ق: ١٨.

(٢) النحل: ١٠٥.

(٣) البقرة: ١٠.

(٤) الجاثية: ٧.

الصدق يهدي إلى البرّ[1]، وإن البرّ يهدي إلى الجنّة، وإنّ الرّجل ليصدق حتى يُكتب صدّيقاً، وإنّ الكَذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإنّ الرجل ليكذب حتى يُكتب كذاباً»[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «أربع من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خَصلة منهن، كانت فيه خَصلة من النفـاق حتى يدَعَهـا: إذا اؤتمن خان، وإذا حَدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[3].

وفي حديث سمرة بن جندب الطويل بيان لعقوبة من يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق[4]، وقد جاء ذلك في الرؤيا التي رآها الرسول عليه الصلاة والسلام، ومما جاء في الحديث:

«فـانـطلقنا، فأتينا على رجل مستلق لقفاه[5]، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثم يتحوّل إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب، حتى يصحّ ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل مثل ما فعل المرَّة الأولى».

---

(١) البر: الطاعة.

(٢) رواه: البخاري (٣ / ٣٠)، ومسلم (٢٦٠٧) (كتاب البر والصلة والآداب) وهذا لفظه.

(٣) رواه: البخاري (١ / ١٥)، ومسلم نحوه (٥٨) (كتاب الإيمان).

(٤) جمع أفق وهو الناحية.

(٥) أي على قفاه.

وفي نهاية الحديث بيان الذّنب الذي ارتكبه ذلك الرجل، وفيه:

«فإنّه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق»[1].

وفي رواية البخاري: «فيصنع به إلى يوم القيامة».

واعلم أنَّه: «ما كان خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب، وما اطّلع منه على شيء عند أحد من أصحابه، فيبخل له من نفسه؛ حتى يعلم أنْ أحدَث توبة»[2].

الحالات التي يُباح فيها الكذب

١ ـ الرجل يُصلح بين الناس.

٢ ـ الكذب على الأعداء، للحفاظ على أسرار الجيوش الإسلامية.

٣ ـ كذب الرجل على امرأته، والمرأة على زوجها، تطييباً للنّفس.

ودليل ذلك ما ثبت عن أم كلثوم بنت عقبة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ:

«ليس الكذّاب بالذي يُصلح بين النَّاس، فينمي خيراً ويقول خيراً»[3].

ولحديثها الآخر، (رضي الله عنها) قالت: «رخّص النبي ﷺ من الكذب ثلاث: في الحرب، وفي الإصلاح بين الناس، وقول الرجل لامرأته

---

(١) رواه: البخاري «الفتح» (٧٠٤٧).

(٢) أخرجه: ابن سعد في «الطبقات» وغيره، وهو في «الصحيحة» برقم ٢٠٥٢).

(٣) رواه: البخاري ومسلم وغيرهما.

(وفي رواية): وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها»[1].

ما لا يحسبه النّاس كذباً

١ ـ دعوة الصغير لأخذ شيء، والدّاعي لا يملكه.

عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال:

[أتى رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبيّ، قال: فذهبْتُ أخرج لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله تعال أعطيك، فقال رسول الله ﷺ: «وما أردتِ أن تعطيه؟» قالت: أعطيه تمراً، قال: فقال رسول الله ﷺ:

«أما إنَّك لو لم تعطيه شيئاً كُتبتْ عليك كذبة»[2].

فليتنبّه الآباء، ولتتنبه الأمّهات إلى هذا، فإنّهم يروْن هذه الكذبات خير ما يدرأ عنهم المتاعب ويجلب لهم المنافع.

ولنُربِّ الأبناء على الإسلام، ولنغرس فيهم الصدق، وإيَّانا أن نكذب عليهم، فذلك من أقوى الأساليب التي تجعلهم كذَّابين، وهذا الصَّحابيّ الجليل عبد الله بن عامر رضي الله عنه، قد روى لنا بنفسه ما جرى مع أمِّه حين كان صغيراً، إذ إن الصغير، شديد الحفظ لما يسمع والتقليد لما يرى.

٢ ـ التحدُّث بكل ما يُسمع.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء

---

(١) رواه: أحمد وغيره، وانظر «الصحيحة» برقم (٥٤٥).

(٢) أخرجه: أبو داود وأحمد وغيرهما، وهو في «الصحيحة» برقم (٧٤٨).

كذباً أن يُحدِّث بكل ما سَمع»[1] وفي رواية: «كفى بالمرء إثماً أن يُحدِّث بكل ما سَمع»[2].

٣ ـ التحدّث بالكذب لإضحاك الناس.

قال رسول الله ﷺ: «ويلٌ للذي يُحدِّث فيكذب، ليُضحِك به القوم، ويلٌ له ويل له»[3].

واشتهرت ـ ولـلأسف ـ أسماء من وراء هذه المعاصي، وامتلكوا الأموال والقصور والحدائق، وانتشرت هذه الآفات، فإن لم يتيسَّر الذَّهاب إليها لشغل أو عجز، فإنها تأتي للبيوت عن طريق ما يسمّى بـ(الفيديو).

ودخل السرور في نفوس الناس من هذا الجهاز، وراقبوا حركات الممثلين بكل اهتمام، وتلقّى الناس هذه البضاعة بالقبول، وتسويغ ذلك، بأنه ترويح للنفوس، وإذهابٌ لبؤسها، وتبديدٌ لعناء الحياة، وما ذاك إلا لأنّه موافقٌ لهوى نفوسهم.

ينهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك ويهدد بالويل لمن فعل هذا القبيح، وهم يقولون: «بشرى له، هنيئاً له»، فإلى الله تعالى المشتكى.

---

(١) رواه: مسلم في «مقدمته» وغيره، وتقدّم.

(٢) تقدّم.

(٣) رواه: أحمد، والترمذي، وأبو داود، والدارمي، وهو في «صحيح أبي داود» (٤١٧٥).

النميمة

قال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[1].

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمّام»[2].

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ، مَرَّ بقبرين فقال: «إنّهما ليُعذَّبان، وما يُعَذَّبان في كبير، أمّا أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»[3].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا أنبئكم ما العَضْه[4]؟ هي النميمة، القالة بين الناس»[5].

وعن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي ﷺ: «خيار عباد الله الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله، وشرار عباد الله المشّاؤون بالنميمة، المفرِّقون بين الأحبّة، الباغون للبرآء العنت»[6].

---

(١) القلم: ١١.

(٢) رواه: البخاري بلفظ «قتّات»، وهو بمعنى نمّام، ومسلم (١٠٥) (كتاب الإيمان) وغيرهما.

(٣) رواه: البخاري (١ / ٦٥)، ومسلم (٢٩٢).

(٤) العَضْه: بفتح العين المهملة وإسكان الضاد المعجمة ـ مصدر ـ يقال عضه عضْها، أي: رماه بالعضه، والعِضَه: بكسر العين الضاد المعجمة على وزن العِدَة وهي الكذِب والبُهتان.

وفي «لسان العرب»: العضه والعضيهة: البهيتة، وهي الإفك والبهتان والنميمة.

(٥) رواه: مسلم (٢٦٠٦) (كتاب البرّ والصلة والآداب).

(٦) البرآء: جمع بريء، والعنت: المشقّة والتعب.

أيُّها النَّمّامون . . يا أعداء المحبة . . يا هواة الفرقة والخلاف . . أيها السفهاء : انظروا لأنفسكم ، فَعَسى أن يكون قد اقترب أجلكم .

هل أشبعتم غيظكم وملأتم قلوبكم الحاقدة فرحاً وغبطة بالنَّميمة والأذى!

ماذا جنيتم أيها البلهاء؟

أتظنّون أنّكم قد أحسنتم صنعاً؟ فلا والله ما أحسنتم .

كم فَرَّقتم بين القلوب؟ وكم بأفواهكم الجائعة للشر قتلتم الأبرياء والأنقياء؟

كم حُمِّلتم من الأوزار والآثام والخطايا؟

اعملوا ما شئتم فستُجزَون على كل ذلك .

لا تحسبوه خيراً لكم بل هو شرٌ لكم .

بئست السعادة هذه ؛ أن تفسدوا على المسلمين معيشتهم ، ونعم الشقاء الذي تعدونه شقاءً ؛ أن يكفّ المرء لسانه عن إيقاع العداوة والبغضاء بين النّاس .

ويْحَكم يا ساقطي الهمَّةِ ، ما أشدّ جبنكم!

إنكم تقاتلون بالنَّميمة من وراء جُدُر محصنَة ، تتسللونْ لواذاً . الظلمة الظلماء نور نميمتكم ، لا تقوون على المواجهة ، بالخفاء تُدَّبرون مؤامراتكم .

= رواه : أحمد وغيره ، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (باب الترهيب من النميمة) .

عذابُ الناس حياةُ قلوبكم ونور صدوركم وجلاء أحزانكم وذهاب غمومكم.

لبئس ما أنتم عليه من حال، ولبئس ما سيكون لكم من مآل.

ليس من النَّميمة

ليس من النَّميمة أن يُخبر الرجل صاحبه بما يقال فيه، إن كان في ذلك مصلحة، ودليل ذلك ما رواه ابن مسعود (رضي الله تعالى عنه) قال:

«لمّا قسم النبي ﷺ قِسمة حنين، قال رجل من الأنصار:

ما أراد بها وجه الله، فأتيت النبيَّ ﷺ، فأخبرتُه، فتغيّر وجهه، ثمّ قال: رحَمة الله على موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبَر»[1].

ما يجب في رد النَّميمة كما في إحياء علوم الدين[2]:

الأول: ألاّ يُصدِّق، لأن النمَّام فاسق، وهو مردود الشهادة، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك، وينصح له، ويقبِّح عليه فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى.

الرابع: ألا يظن بأخيه الغائب السوء.

الخامس: أن لا يحمله ما حكي له على التجسس.

---

(١) رواه: البخاري (٥ / ٢٠٢).

(٢) نقلاً عن «الترغيب والترهيب» ـ بحذف يسير ـ تعليق مصطفى عمارة.

ويُحكىٰ[1] أن رجلاً ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلاً بشيء فقال عمر: يا هذا، إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت صادقاً، فأنت من أهل الآية: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾، وإن كنت كاذباً فأنت من أهل الآية: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾. وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبداً[2].

ورُوي أن أحد الصالحين، زار أخاً له وذكر له عن بعض إخوانه شيئاً يكرهه، فقال له: يا أخي، أطَلْت الغيبة، وأتيتني بثلاث جنايات: بغّضت إلي أخي، وشَغلْت قلبي بسببه، واتهمت نفسك الأمينة[3].

الغيبة[4]

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[5].

وقال رسول الله ﷺ: «الغيبةُ أن تذكر الرجل بما فيه من خلفه»[6].

---

(١) بَنْيُتُ الفعل للمجهول، توضيحاً لعدم معرفة صحته، ومعناه جميل صحيح يتمشى مع القواعد الشرعية، والله أعلم.

(٢) عن كتاب «الكبائر» للذهبي، الكبيرة الثالثة والأربعون.

(٣) عن كتاب «الكبائر» للذهبي، الكبيرة الثالثة والأربعون: النمام.

(٤) وفّقني الله تعالى لإعداد رسالة مُفصّلة في هذا الموضوع بعنوان «الغيبة وأثرها السيء في المجتمع الإسلامي»، ولكني رأيت أنّه لا يمكن الاستغناء عن كتابة الغيبة في هذا الكتاب؛ لأن الغيبة من أبرز حصائد اللسان، فاختصرت الكلام فيها.

(٥) الحجرات: ١٢.

(٦) أورده السيوطي في «زوائد الجامع» من رواية الخرائطي في «مساوىء الأخلاق»، ورواه مالك بمعناه مُرسلاً، وانظر «الصحيحة» تحت رقم (١٩٩٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذِكْرُكَ أخاك بما يكره...»[1].

ما هي الغيبة؟

يتَّضح لنا مما تقدَّم أنّ الغيبة هي: «ذكرك الرجل بما فيه، بما يكره، من خلفه».

الإجماع على تحريم الغيبة، وأنَّها من الكبائر

قال ابن كثير (رحمه الله تعالى) في تفسير سورة الحجرات:

«والغيبةُ محرَّمةٌ بالإجماع، ولا يُستثنى من ذلك، إلاَّ ما رجحت مصلحة، كما في الجرح والتعديل والنَّصيحة».

ويقول القرطبيّ: «والإجماع على أنها من الكبائر، وأنه يجب التوبةُ منها إلى الله تعالى».

ما الأسباب الباعثة على الغيبة وعلاجها

١ ـ تشفّي الغيظ بأن يجري من إنسان في حق آخر سبب يهيجُ غيظه، فكلَّما هاج غضبه، تشفّى بغيبة صاحبه، وعلاجه أن يتذكر الإنسان قوله تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَالأَرْضُ

(١) رواه: مسلم في «صحيحه» (كتاب البر والصلة والآداب» (باب تحريم الغيبة)، ورواه: أبو داود، والترمذي، وأحمد، غيرهم.

أُعِـدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . الَّـذِينَ يُنْفِقُـونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾[1].

ويتذكر المسلم قوله ﷺ: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن يُنْفِذَه، دعاه الله (عز وجلّ) على رؤوس الخلائق يوم القيامة حَتَّى يُخيِّره الله من الحور ما شاء»[2].

٢ ـ موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء، ومساعدتهم على الغيبة، فإنه يخشى إن أنكر عليهم أن يستثقلوه، وعلاجه أن يتذكر المسلمُ قوله ﷺ:

«ومن الْتمس رضا الناس بسخط الله، وكله الله إلى النَّاس»[3].

٣ ـ إرادة رفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول: فلان جاهل وفهمه ركيك.

ومن علاج ذلك، أن تعتقد أن ما عند الله تعالى خيرٌ وأبقى، وأنَّ هذا العبد رُبَّما يكون عند الله تعالى أفضل منك، وأنَّك حين تذكره من خلفه بما يكره، ترفعه وتخفض نفسك عند الله عزَّ وجل.

٤ ـ اللعب والهزل: فيذكر غيره بما يُضحك له على سبيل المحاكاة، فلا تنسَ ـ يرحمك الله ـ قوله عليه الصَّلاة والسلام:

«ويلٌ للذي يحدث فيكذب ليُضحك به القوم، ويل له، ويل له»[4].

---

(١) آل عمران: ١٣٣، ١٣٤.

(٢) رواه: أبو داود وغيره، وانظر: «صحيح سنن أبي داود» برقم (٣٩٩٧).

(٣) جزء من حديث رواه الترمذي وغيره، وانظر «تخريج الطحاوية» (٢٧٨).

(٤) تقدّم تخريجه.

٥ ـ الحسد: وذلك بأن يُغتاب الشخص لإنزاله من قلوب الناس وإسقاطاً من عيونهم، لِما لَه من رفيع مكانة وعظيم منزلة.

فليتدبر الحاسد قوله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والحسد»[1].

وليتذكر الحاسد أنه بهذه الغفلة يجعل المحسود فوقه يوم القيامة، لا في الدنيا فحَسب.

٦ ـ أن يُنسَب رجل إلى شيء، فيريد أن يتبرأ منه، فيذكر الذي فعله لينجو، أو يذكر غيره بأنّه كان مشاركاً له في الفعل، ليمهّد بذلك عذر نفسه.

وكان من حقّه أن يبرىء نفسه، لا أن يذكر من فَعَل أو شارك.

٧ ـ كثرة الفراغ، والشعور بالملل والسأم، فيشتغل بالناس وأعراضهم وعيوبهم.

وعلاجه أن يقضي المرء الأوقات في الطاعات، والعبادات، والعلم، والتعلم.

٨ ـ التقرّب لدى أصحاب الأعمال، والمسؤولين، عن طريق ذمّ العاملين معه، ليرتقيَ لمنصب أفضل، أو ليُقال عنه مواظب، أو نحو ذلك.

وعلاجه أن يتذَّكر المسلم آيات وأحاديث الرزق، ويتدبرْها جيداً، وأنه لا يُنال ما عند الله بما حَرَّم الله تعالى.

---

(١) جزء من حديث رواه النسائي وغيره، وهو من «صحيح سنن النسائي» برقم (٢٩١٢).

ما يُباحُ من الغيبة

١ ـ التظلم: كالتظلم للسلطان والقاضي وأولي الأمر. ودليل ذلك ما روته عائشة (رضي الله عنها): أن هنْد بنت عتبة قالت: يا رسولَ الله! إنَّ أبا سفيان رجل شحيح[١]، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذتُ منه وهو لا يعلم! فقال: «خذي ما يكفيكِ وولدك بالمعروف»[٢].

٢ ـ الاستفتاء: كأن يقول للمفتي: ظَلَمني أخي، أو فلان، فما طريقي في الخلاص؟ كما في الحديث السابق.

٣ ـ الاستعانة على تغيير منكر، أو رفع بلاء عن مسلم، لحديث هند السابق وغيره.

٤ ـ تحذير المسلمين ونُصْحهم من أصحاب الشر، وممن يضرُّ بهم، من ذلك جرح المجروحين من الرواة والشهود، للذبّ عن حديث رسول الله ﷺ، وكذلك المشاورة في أمور الزواج، أو المشاركة، أو المجاورة، ونحو ذلك، وقد ثبت في الحديث الشريف عن الشريد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ليُّ الواجد يحلّ عرضه وعقوبته»[٣].

٥ ـ ذكر المجاهر بما فيه، أو صاحب البدعة ببدعته.

عن عائشة (رضي الله عنها)، قالت: استأذن رجل على رسول الله

---

(١) الشحّ: البخل مع الحرص.

(٢) رواه: البخاري (٧ / ٨٥)، ومسلم نحوه (١٧١٤) (كتاب الأقضية).

(٣) رواه: أبو داود، والنسائي، وصححه شيخنا الألباني في «المشكاة» برقم (٢٩١٩)، ومعنى ليّ الواجد: مطل الغني، وهو تأجيل موعد الوفاء بالدين مرّة بعد الأخرى.

ﷺ فقال: «ائذنوا له، بئس أخو العشيرة» أو «ابن العشيرة»، فلّما دَخل ألان له الكلام، قلت: يا رسول الله! قُلْتَ الذي قُلْت ثمَّ ألَنْتَ له الكلام؟ قال: أي عائشة! «إنَّ شرّ الناس مَن ترَكه الناسُ أو وَدَعَه الناسُ اتقاء فُحشه»[1].

قال النَّووي في رياض الصالحين: «احتجَّ به البخاري في جواز غيبة أهل الفساد وأهل الرِّيب».

٦ ـ التعريف إن كان الإنسان معروفاً بلقب معين، كالأعرج والأصمّ والأعمى ونحو ذلك، ولا يحلُّ إطلاقه على وجه التحقير والتنقيص، وإن أمكن تعريفه بغير ذلك كان أفضل وأولى، لقوله ﷺ:

«إنّ رجلاً يأتيكم من اليمن يُقال له «أُويس»، لا يدَعُ باليمن غير أمّ له، قد كان به بياض[2]، فدعا الله تعالى فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لَقِيه منكم فلْيستغفر لكم»[3].

الأمور التي ينبغي مراعاتها عند الغيبة المباحة

١ ـ الإخلاص لله تعالى في النِّية، فلا تَقُلْ ما أُبيح لك من الغيبة تشفياً لغيظ، أو نيلاً من أخيك، أو تنقيصاً منه.

٢ ـ عدم تعيين الشخص ما أمكنك ذلك.

٣ ـ أن تذكـر أخاك بما فيه، بما يباح لك، ولا تفتح لنفسك باب

---

(١) رواه: البخاري (٨/ ٢٠)، ومسلم (٢٥٩١) (كتاب البرّ والصلة والآداب).

(٢) أي: برص.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب فضائل الصحابة) (باب من فضائل أويس القرنيّ رضي الله عنه).

الغيبة على مصراعيه، فتذكر ما تشتهي نفسك من عيوبه.

٤ ـ التأكد من عدم وقوع مفسدة أكبر من هذه الفائدة.

أمور لا تُظنّ أنها غيبة، وهي غيبة

١ ـ قد يغتاب الرَّجل أخاه، وإذا أُنكر عليه قال: «أنا على استعداد للقول أمامه»، ويُردُّ على هذا بردود عديدة، منها:

أ ـ أنَّك ذكرته من خلفه بما يكره بما فيه، وهذه هي الغيبة.

ب ـ استعدادك للحديث أمامه، أمر آخر مستقل، لم يَرِدْ فيه دليل على أنّه يُسوِّغ لك أن تذكر أخاك مِن خلفه بما يكره.

٢ ـ قول القائل في جماعة منَ النَّاس عند ذكر شخص ما: «نعوذ بالله من قلَّة الحياء»، أو «نعوذ بالله من الضّلال»، أو نحو هذا، فإنَّه يجمع بين ذمِّ المذكور ومدح النَّفس.

٣ ـ وكذلك قول المرء: «فلان مبتلى بكذا»، أو «كلنا نفعل هذا».

٤ ـ قول القائل: «فَعَل كذا بعض النَّاس»، أو بعض الفقهاء، أو نحو ذلك، إذا كان المخاطبُ يفهمه بعينه، لحصول التفهيم.

٥ ـ قول الشخص: «فعل كذا الأفندي»، أو «جناب السيّد» ونحو ذلك، إن كان يقصد التنقيص منه.

٦ ـ قولهم: هذا صغير تجوز غيبته، وأين الدَّليل على تجويز هذه الغيبة، طالما وردت النُّصوص مطلقة؟

٧ ـ التساهل في غيبة العاصي. وأمَّا المجاهر بالمعصية، فيقال

بتجـويز غيبته، وأما التَّساهل في غيبة العاصي مطلقاً فلا، لأنَّ قوله عليه الصلاة والسلام: «الغيبة ذكرك أخاك بما يكره»[1] يشمل المسلم الطائع والعاصي[2].

٨ ـ قولـك: هذا هندي، أو مصري، أو فلسطيني، أو أردني، أو عجمي، أو عربي، أو بدوي، أو قروي، أو إسكاف، أو نجار، أو حداد، إن كان ذلك تحقيراً أو انتقاصاً.

إفشاء السر

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾[3].

«عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن عمر (رضي الله عنه) حين تأيمت[4] بنتـه حفصة قال: لقيت عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، فعرضْتُ عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر؟ قال: سأنظر في أمري. فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. فلقيت أبـا بكـر الصـديق (رضي الله عنه) فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصَمَت أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئاً. فكنت عليه أوجد[5] مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها النبي ﷺ فأنكحتُها إيّاه.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) راجع كتابي «الغيبة وأثرها السيء في المجتمع الإسلامي».

(٣) الإسراء: ٣٤.

(٤) صارت بلا زوج.

(٥) الوجد: الغضَب.

فلقيني أبو بكر (رضي الله عنه). فقال: لعلك وَجَدْتَ[4] عليّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ فقلت: نعم، قال: فإنَّه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضتَ عليَّ، إلا أنِّي كنت علمْتُ أن النبي ﷺ ذَكَرها، فلم أكن لأُفشي سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها النبي ﷺ لقبِلْتُها»[1].

«وعن أنس (رضي الله عنه) قال: أتى عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فسلَّم علينا، فبعثني في حاجته، فأبطأت على أُمّي، فلما جئت قالت: ما حَبَسك؟ فقلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنّها سرّ؟ قالت: لا تخبرنَّ بسرِّ رسول الله ﷺ أحداً.

قال أنس: والله لو حدَّثْتُ به أحداً لحدَّثْتُك به يا ثابت»[2].

إنّه غلام يلعب مع الغلمان، ما مَنعه الصّغر وما فيه أن يحفظ الأسرار ويكتمها، تسأله أمّه عن الحاجة، فيجيب: إنّها سر، واليوم رجال كبار اشتعلت رؤوسهم شيباً، لا يرعون لمؤمن أو مسلم سراً، ينشرون الأسرار ويذيعون الأخبار ولا يكتمون الناس حديثاً. إنَّها شهوة منحطّة، شهوة فضح أسرار الناس، أعاذنا الله منها.

من قبل أتينا بقصة كتمان أبي بكر (رضي الله عنه) لسر رسول الله ﷺ نموذجاً على تربية الرجال، وها أنت الآن تقرأ قصة هذا الغلام الجليل (رضي الله عنه) نموذجاً لتربية الغلمان، وفي نفس القصة، انظر كيف كانت

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

الأمهات المسلمات يُربِّين أبناءهن على تقوى الله وحفظ أسرار الخلق، إنها تقول له: لا تخبرنّ بسرِّ رسول الله ﷺ أحداً.

فلننظر لرجالنا ونسائنا وأبنائنا، كيف هم وحِفظ الأسرار، ثم لنبْك الدموع.

كم أسرارٍ أصبحت أخباراً! وكم من الأسرار صارت قصصاً، رآها الناس من أحسن القصص! فلا حول ولا قوة إلا بالله.

إفشاء السِّر خيانةٌ ونفاق

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنَّ رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حَدّث كَذَب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا اؤتمن خان»(١).

وعن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حَدَّث الرجل بالحديث ثم الْتفت، فهي أمانة»(٢).

ناشر السرِّ لا يعافى

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلّ أُمَّتي معافَى إلا المجاهرين، وإنَّ من المجاهرة، أن يعمل الرّجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان! عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»(٣).

---

(١) رواه: البخاري (١ / ١٥)، ومسلم (٥٩).

(٢) أخرجه: أبو داود، والترمذي، وأحمد، وغيرهم، وهو في «الصحيحة» برقم (١٠٩٠).

(٣) رواه: البخاري (٨ / ٢٤)، ومسلم نحوه (٢٩٩٠).

تحريم نشر أسرار الوقاع بين الزوجين

عن أسماء بنت يزيد (رضي الله عنها) أنها كانت عند رسول الله ﷺ، والرجال والنساء قعود، فقال:

لعلَّ رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعلّ امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها؟ فَأَرِمَّ القوم[1]، فقُلْت: إي والله يا رسول الله: إنّهن ليفعلن، وإنّهم ليفعلون، قال: «فلا تفعلوا، فإنّما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق، فغشيها والناس ينظرون»[2].

تأمّل قوله عليه السلام: «فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة...». وهذا وصف لمن؟ إنّه لمن يخبر عما يحصل من وقاع واستمتاع مع زوجته، فما ظنك لو سمعت ـ فيما سمعت ـ أسرار الوقاع والاستمتاع مع غير الأزواج ـ والعياذ بالله ـ إنه التبجح والتفاخر بالقبح والفسوق والعصيان.

وأدهى من السّماع وأمرُّ، أن ترى بعيني رأسك ـ وليس الخبر كالمعاينة ـ ما تعرضه «الأفلام» مما تطيب به النفوس المريضة، وتستمتع به القلوب الخاوية من الإيمان، تعرض التكشف والعري والفجور، والفتنة والضلال والإغواء.

وإن فاتت (الأفلام) سواء كانت (بدور السينما) أو (الفيديو) فلا تفوت المجلات والصحف.

---

(١) أي: سكتوا ولم يجيبوا بشيء.

(٢) أخرجه: أحمد وغيره، انظر «آداب الزفاف» (ص ٦٣) الطبعة السابعة.

تأمّل أخي قوله ﷺ: «مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق، فغشيها والناس ينظرون». فما عساك أن تختار من أمثال وأوصاف، لمن يفعل هذا مع غير زوجته!!

أين العفة؟.. أين الطهر؟.. أين النقاء؟.. أين الحياء؟.. أين الحدود لمن أقرَّ وتبجّح؟.. أين الجلد؟.. أين الرجم؟ وأين نحن من قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[1]!؟

ولطالما أخذتنا الرأفة في دين الله، فما الذي نقوله عن إيماننا بالله واليوم الآخر، والإيمان مُعلَّق ـ كما نلحظ في الآية ـ بعدم الرأفة لهؤلاء؟!

النِّفاق

وأقصد به النِّفاق العملي والاجتماعي، فإن النفاق نفاقان: اعتقادي[2] وعملي[3]، ولْتقل إن شئت: نفاق دون نفاق.

وقد حرَّم الله سبحانه وتعالى النفاق بكل أنواعه، وكثرت النصوص على ذلك، منها ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال:

«إنَّ مِن شر النَّاس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»[4].

---

(١) النور: ٢.

(٢) النِّفاق الاعتقادي يكون بإظهار الإسلام وإبطان الكفر، عياذاً بالله تعالى.

(٣) وأما النفاق العملي: فهو أن يَشابه عمل المسلم عمل المنافقين، من غير استحلال له، وما في ظاهره من نفاق ليس في باطنه، بل إنّ ما في باطنه هو الإقرار بالتحريم.

(٤) رواه: البخاري «الفتح» (٣٤٩٤)، ومسلم (٢٥٢٦) وغيرهما.

وعن عمّار (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«من كان له وجهان في الدنيا، كان له يوم القيامة لسانان من نار»[1].

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ:

«مثل المنافق كمثل الشاة العائرة[2] بين الغنمين، تعيرُ إلى هذه مرة وإلى هذه مرة، لا تدري أيهما تتَّبع»[3].

لقد أصبحت صِفَةُ النِّفاق هي السِّمة الغالبة في المجتمع، وذلك من أجل الدرهم والدينار، فأنت ترى مظاهر النِّفاق في كل مكان، وأصبح الجهر بالحق والحقيقة من أصعب الأمور، وهَجَر النّاسُ النصيحة والمصارحة، وركنوا إلى النِّفاق، لأنهم استحسنوا طريقه، واستسهلوا سبيله، ورأوه يوفر عليهم كثيراً من العناء، غير سائلين عمّا يكون لهم من عناء أو عذابٍ في الآخرة، ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[4].

السخرية والاستهزاء والتنابز بالألقاب

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا

---

(١) أخرجه: أبو داود واللفظ له، والبخاري في «الأدب المفرد»، وغيرهما، وهو في «الصحيحة» برقم (٨٩٢).

(٢) جاء في «المعجم الوسيط»: «عار ـ عيراً ـ عيراناً: ذهب وجاء مردوداً». وفي «لسان العرب»: «عار الفرس والكلب يعير عياراً: ذَهب كأنه منفلت من صاحبه يتردّد، وعار الفرس ذَهب على وجهه».

(٣) رواه: مسلم (٢٧٨٤) دون قوله «لا تدري أيهما تتبع» وغيره.

(٤) القلم: ٣٣.

أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ[1] بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيْمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2].

ويقول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[3].

وفي الحديث: «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[4].

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«لا يدخل الجنَّة مَنْ كان في قلبه مثقالُ ذرَّة من كِبْر»، قال رجل: إنَّ الرجل يُحبّ أن يكون ثوبه حسناً، ونعلُه حسنة؟ قال: «إنَّ الله جميل يُحبّ الجمال. الكِبر بَطَر الحق، وغَمْط النّاس»[5].

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما أُحبُّ أنِّي حكيت إنساناً، وأنَّ لي كذا وكذا»[6].

قال المناوي في «فيض القدير»:

«ما أحبُّ أني حكيتُ إنساناً: أي فعلت مثل فعله، أو قلتُ مثل

---

(١) أي لا تداعوا بالألقاب، وهي التي يسوء الشخص سماعها.

(٢) الحجرات: ١١، قال ابن كثير في تفسيره: والهمّاز بالقول، واللمّاز بالفعل، يعني يزدري الناس وينتقص بهم، وقيل: الهمز في الوجه، واللمز في الخلف، وقال: لا تلمزوا أنفسكم: كقوله سبحانه: ﴿وَلا تَقْتُلوا أَنْفُسَكُم﴾، أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، وقيل: لا تلمزوا أنفسكم: لا يطعن بعضكم على بعض.

(٣) الهمزة: ١.

(٤) رواه: مسلم من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) (٢٥٦٤) وغيره.

(٥) رواه: مسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان) (باب تحريم الكبر وبيانه).

(٦) أخرجه: أبو داود وغيره، وانظر «صحيح سنن أبي داود» برقم (٤٠٨٠).

قولـه، منقصـاً له، يُقال: حكاه وحاكاه ـ قال الطيبي: وأكثر ما تستعمل المحاكاةُ في القبيح».

مقاطعةُ الكلام

من أدب الإسلام، أن يستمع المسلم لأخيه حتى ينتهي من كلامه وإن خالَفه في الرأي، فإذا ما انتهى من كلامه، تحدَّث الآخر ما شاء الله له أن يتحـدّث. أما أن يستمع المسلم لأخيه، فإذا سمع شيئاً لم يصحَّ عنـده، قاطعـه وبـدأ هو بالكلام، فإن هذا الشيء لا يأتي بخير، إذ إنَّ المقصود من الكلام أو النقاش أو المناظرة هو التوصل للحق، أو حل نزاع، أو فضُّ خلاف، ولكن مقاطعة الكلام لا تزيد النِّزاع إلا نزاعاً، ولا الإشكال إلا إشكالاً.

وكم يقرأ المسلم من أحاديث! فهل قرأ في واحدٍ منها مقاطعة النبي ﷺ لأصحابه، أو قرأ أحاديث تأمر أو تحبب هذه المقاطعة؟ وعلى خلاف ذلك وردت النّصوص، وصحَّت الأحاديث، وثبتت الآثار. من هذا ما رواه أبو هريرة (رضي الله تعالى عنه) أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا قُلْت للنَّاس أنصتوا وهم يتكلمون؛ فقد ألغيت على نفسك»[1].

قال شيخنـا الألباني ـ حفظه الله تعالى ـ في هذا الحديث: «وفي الحديث تحذير من الإخلال بأدب رفيع من آداب الحديث والمجالسة،

---

(١) رواه: الإمام أحمد، وسنده صحيح على شرط الشيخين كما في «الصحيحة» برقم (١٧٠)، ونقل شيخنا ـ حفظه الله ـ قول الراغب الأصبهاني ـ رحمه الله ـ في تفسير اللغو فقال: «اللغو من الكلام ما لا يُعتدّ به، وهو الذي يورد لا عن روية فِكر فيجري مجرى اللغا». انتهى بشيء من الحذف.

وهو أن لا يقطع على النّاس كلامهم، بل ينصت هو، حتى ينتهي كلامهم، وإن كان كبير القوم، ثم يتكلم هو بدوره إن شاء. فذلك أدعى إلى حصول الفائدة من الكلام المتبادل بين الطرفين».

ومن الأدلّة كذلك ما رواه جابر (رضي الله عنه) قال:

«مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين، يتبع النّاس في منازلهم بعكاظ ومجنة، وفي المواسم بمنى يقول: من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربّي وله الجنة؟ حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر ـ كذا قال ـ فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رجالهم، وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فآويناه وصدّقناه، فيخرج الرّجل مِنّا فيؤمن به، ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبْقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يُظهرون الإسلام، ثم ائتمروا جميعاً، فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يُطرد في جبال مكّة ويخاف؟ فرحل إليه منّا سبعون رجلاً حتى قدِموا عليه في الموسم، فواعدناه شُعب العقبة، فاجتمَعْنا عليه من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله نبايعك؟ قال:

«تبايعوني على السمع والطّاعة، في النّشاط والكسل، والنّفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله، لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني، فتمنعوني إذا قدمت عليكم؛ مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة».

قال: فقُمْنا إليه فبايعناه، وأخذ بيده ابن زرارة ـ وهو من أصغرهم. فقال: رويداً يا أهل يثرب، فإنّا لم نضرب أكباد الإبل، إلا ونحن نعلم أنّه

رسول الله ﷺ، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتْل خياركم، وأن تعضّكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جُبَيْنَة فبيِّنوا ذلك، فهو عُذر لكم عند الله.

قالوا: أمِط عنّا يا سعد، فوالله لا نَدَع هذه البيعة أبداً، ولا نسلبها أبداً.

قال: فقمنا إليه فبايعناه، فأخذ علينا وشرط: ويعطينا على ذلك الجنَّة»[1].

في هذه القصة القصيرة درس في أدب الاستماع، رجل من أصغر القوم وهو ابن زرارة (رضي الله تعالى عنه) بدأ بالكلام فقال: «رويداً يا أهل يثرب، فإنّا لم نضرب أكباد الإبل، إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتْل خياركم، وأن تعضَّكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك، وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جُبَيْنَة، فبيّنوا ذلك، فهو عذر لكم عند الله».

تأمَّل أخي المسلم كيف كان رجل من أصغرهم يتكلم الجملة بعد الجملة، والكلّ له مستمع، لا يقاطعه شخص، ولا يوقف كلامه أحد.

ثم تأمل ـ يرحمك الله ـ كيف كان الردّ!

«أمِط عنا يا سعد! فوالله لا ندَع هذه البيعة أبداً، ولا نسلبها أبداً. قال: فقمنا إليه فبايعناه».

من خلال هذا الرد على ابن زرارة (رضي الله عنه) يفهم السامع أن

(١) رواه: أحمد من طرق، والبيهقي، وانظر: «الصحيحة» برقم (٦٣).

الذي كان يحذر منه ابن زرارة، ويتوجّس منه خيفة، لم يكن وارداً في قلوب الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) ولا كان في عقولهم وأذهانهم، فكان هذا مما يدعو للمقاطعة ـ لو جازت ـ لأن الذي قاله لم يكن له من لُزوم عندهم، ومما يدل على ذلك قولهم: أمط عنا يا سعد، ثم حلْفهم بالله ألا يَدَعوا تلك البيعة، وكذلك إلحاقها بكلمة «أبداً»، ثم تكرارها، كل هذا يدل على مخالفتهم له بالرأي والقول، مع ذلك أنصتوا بكل أدب ولم يقاطعوه.

هذا هو خُلُق الصحابة العظيم، وذوقهم الرفيع ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.

من سلبيَّات مقاطعة الكلام

من سلبيَّات مقاطعة الكلام، عدم وصول الحق للمتناظِرَين والمتحاوِرَين، ذلك لأن كلاً منهما ربما يشعر أنه يحمل من الحجج والبراهين الساطعة، فيما لو قُدِّر أن يبيّنها، لكان الحق معه أبلج ناصعاً.

وبهذه المقاطعة تَقِلّ الفائدة، وتَضيع الأوقات، وذلك لما فيها من المخالفات الشرعية.

الغناء

ومن أعظم الابتلاءات التي ابتُليت بها أمّتنا من حصائد الألسن الغناء، لأنَّه يُحسِّن الكلام القبيح، ويُزخرفه ويزينه في نفوس الناس، فيزداد قبوله، ويكثر الإقبال عليه، حتى إنّك لترى الكبير والصغير، يغني بلسانه وقلبه، وجسمه يتمايل يمنة ويسرة، وقد سكر من الغناء وثمل من الطرب، وحتى إنَّ المذاهب الهدَّامة، والعقائد الفاسدة والأفكار النتنة، رُوِّج لها عن

طريق الغناء، فضلاً عن مختلف أنواع المعاصي والفسوق ومنها: زنا اللسان المتمثل بوصف الخدود والنُّهود، وغير ذلك مما كرِه الله وحرَّم، وهذه الأغاني من أنجح الوسائل. لحثّ الشباب على العشق والغرام، وإضاعة أعمارهم في الخسران والهلاك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[1]. جاء في تفسير ابن كثير أنّ المراد هو الغناء، وذلك من خلال أقوال متعدّدة، نقَلها عن السلف.

والأصل في الغناء في هذا العصر، أن ترافقه آلات العزف العديدة، المتعوب عليها، المهيّأ لها من يجيدها، بل وينبغ فيها، حتى يطيب الغناء، ويُسَرَّ الناس بهذا الداء، غير سائلين عن حلال أو حرام، وهنالك من يقول: «هُوَ حلالٌ لا شيء فيه».

ومن الأدلَّة على تحريم آلات العزف والطَّرب، قوله عليه الصلاة والسلام:

«ليكوننّ من أمتي أقوام يستحلُّون الحِرَ[2] والحرير والخمر والمعازف[3]، ولينزلن أقوام إلى جنب عَلَم[4]، يروح[5] عليهم

---

(١) لقمان: ٦.

(٢) الحِرَ: أي الفرج.

(٣) هي آلات الملاهي، كما في «فتح الباري».

(٤) هو الجبل العالي.

(٥) أي يرجع.

بسارحة[1] لهم، يأتيهم لحاجة، فيقولون: ارجع إلينا غداً، فيُبيّتهم الله، ويضَع العلَم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»[2].

ومن الفوائد التي ذكرها شيخنا في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» لهذا الحديث، تحريم آلات العزف والطرب. قال شيخنا ـ حفظه الله تعالى ـ:

ودلالة الحديث على ذلك من وجوه:

أ ـ قوله: «يستحلّون» فإنَّه صريح بأنَّ المذكورات، ومنها المعازف، هي في الشرع محرمة، فيستحلُّها أولئك القوم.

ب ـ قرن (المعازف) مع المقطوع حرمته: الزنا والخمر، ولو لم تكن محرمة ما قرَنها معها، إن شاء الله تعالى».

وقال أيضاً: «وقد جاءت أحاديث كثيرة بعضها صحيح في تحريم أنواع من آلات العزف، التي كانت معروفة يومئذ، كالطبل والقنين وهو العود، وغيرهما، ولم يأت ما يخالفُ ذلك أو يخصه، اللهمَّ إلا الدف في النكاح، والعيد، فإنه مباح على تفصيل مذكور في الفقه».

وما أدري لِمَ الغناء: أهو للعزِّ الذي يتمتَّع به المسلمون؟ أم للفتوحات التي يحققونها كل يوم؟

لقد حُقَّ لنا البكاء، ولكن أين هذه القلوب التي تبكي؟ أين هي

---

(١) هي الماشية التي تسرح بالغداة إلى رعيها وترجع بالعشي إلى مكانها.

(٢) رواه: البخاري في «صحيحه» تعليقاً ووصله الطبراني والبيهقي وابن عساكر وغيرهم، وانظر: «الصحيحة» برقم (٩١).

طالما شغلت بالغناء والرقص؟ وفي مِثل هذا يطيب لي أن أقول:

على عدم البكاء أُخيَّ فابكِ فما جدوى الحياة وأنت لاهِ
وما طعم الحياة بلا أنين وما الدُّنيا بلا دمعٍ وآهِ

الشِّعر

وهو من أكثر الأمور انتشاراً، سواء كان ذلك بين العامَّة، وهو ما يُعرف بالشِّعر الشعبي، أو بين المتعلمين والمثقفين، وقد استخدم بسحره، ـ مع الأسف ـ لأخذ عقول الناس وقلوبهم إلى غير هدى، مع أنَّ الواجب على الشعراء استخدام هذه القرائح في رضوان الله تعالى وطاعته، وخِدمة دينه سبحانه، ولكنَّهم ـ إلا القليل منهم ـ جعلوا الشِّعر طريق الشرك والفسوق والعصيان، فمنها ما يكون في الغُلوّ بالرسول ﷺ، أو الأولياء أو الصالحين، هذا من جهة من يحسب من أهل التديّن، أو يكون بإنكار البعث والنشور من غيرهم.

وكثيراً ما يكون الشعر في ذكر النساء والحثِّ على الزنا والفاحشة، أو مدْح المرء بما ليس فيه، أو الهجاء، حتى لربما بلَغ بالشاعر أن يهجو قبيلة بأسرها، فيكون من أعظم الناس فرية عند الله سبحانه كما في حديث عائشة (رضي الله عنها) عن النبي ﷺ أنه قال:

«إنّ أعظم النَّاس عند الله فرية لرجل هاجى رجلاً فهجا القبيلة بأسرها»[1].

---

(١) أخرجه: ابن ماجه وغيره، وانظر: «السلسلة الصحيحة» في تخريج وتحقيق حديث رقم (٧٦٣).

وعظمت المصيبةُ لمَّا صارت الأشعار مادة الغناء، يرقص لها الناس على كافة المستويات، يردِّد أحدهم الأبيات دونما تفكر أو تدبر.

وقد ذمَّ الله تبارك وتعالى الشعراء الذين هم في كل وادٍ يهيمون، مَنْ خالفت أفعالهم أقوالهم، مستثنياً سبحانه منهم المؤمنين، إذ يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لأن يمتلىء جوف رجل قيحاً يريه[2] خيرٌ له من أن يمتلىء شعراً»[3].

وهذا عندما يكون هَمُّ الإنسان هو الشِّعر، بحيث يشغله عن الكتاب والسُّنّة والدعوة إلى الله تعالى، ولا سيما إن خلت هذه الأشعار من الأذكار والمواعظ والرقائق.

أقول هذا وأنا لا أنسى قوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّ من الشِّعر حكمة»[4].

---

(١) الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧.

(٢) أي: حتى يغلبه فيشغله عن القرآن، وعن ذكر الله، «فيض القدير».

(٣) رواه: البخاري (كتاب الأدب) (باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر)، ومسلم وغيرهما.

(٤) رواه: البخاري (٨ / ٤٢) (كتاب الأدب).

ولا أنسى أيضاً أن أُبيِّن جهاد الشعراء، كما ذَكَره رسول الله ﷺ، وذلك فيما يرويه عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه (رضي الله عنه) أنَّه قال للنّبي ﷺ: «إنَّ الله عز وجل قد أنزَل في الشّعر ما أنزَل»، فقال:

«إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده، لكأنَّ ما ترمونهم به نَضحُ النَّبْل»[1].

وقد مَنَّ الله تعالى علينا بنعمة الاستعاذة والتي تتكرر من العبد المسلم، ولا سيما في الصلاة، فقد علَّمنا رسول الله ﷺ عند الاستعاذة أن نقول:

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه»[2].

وكان أحياناً يزيد في صلاته: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه»[3]، والنَّفث[4] هو الشِّعر المذموم[5].

---

(١) أخرجه: أحمد وغيره، وانظر «السلسلة الصحيحة» برقم (١٦٣١).

(٢) رواه: أبو داود، وابن ماجه، والدارقطني، والحاكم، وصححه هو ابن حبان والذهبي، كما في «صفة صلاة النبي ﷺ».

(٣) أبو داود، والترمذي، بسند حسن، كما في «صفة صلاة النبي ﷺ».

وفي «المعجم الوسيط» الهمز: الجنون، وفي «مختار الصحاح»: خطرات الشيطان التي يخطرها بقلب الإنسان.

والنفخ: الكِبر «لسان العرب».

(٤) في «لسان العرب» النفث: الشعر، وفي «المعجم الوسيط»: هذا من نفثات فلان: من شعره، وفي «القاموس المحيط»: نفث الشيطان: الشعر.

(٥) قلت: جاءت كلمة المذموم، بسبب إضافة النفث للشيطان، فإنّ الضمير المتصل يعود عليه في الحديث: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه».

المزاح

ومن حصائد الألسن العظيمة التي أصابت أمتنا المزاح، وكأنك ترى الأمهات قد أرضعن أبناءهن المزاح، وشابَ عليه من النّاس من شاب.

وقد يسأل سائل: أكان رسول الله ﷺ يمزح أم لا؟ جوابه في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال:

«قالوا: يا رسول الله! إنك تداعبنا قال: نعم غير أني لا أقول إلاَّ حقّاً»[1].

لقد كان رسول الله ﷺ يمزح، ولكنه لا يقول إلاّ حقاً، ولا ينطق إلا صدقاً.

ومن باب المزاح، وَلَج الشيطان على الصغير والكبير، على الذكر والأنثى، فإنَّهم حين يمازحون، يسابق أحدهم الآخر، للإتيان بكلمات تُعجِبُ الآخرين، بها يشتدُّ ضحكهم، ليشهدوا ذكاءه، وعند هذه الأهداف الدنيئة، يضيع الحق من نفوس هؤلاء، في وقت أترعت فيه النفوس من المزاح والضحك واللهو، فتنطق الأفواه بالكذب والباطل.

فمن أراد المزاح، فلا يقل إلا خيراً وحقاً، وإلا فالسلامة لا يعدلها شيء، وليسمع هؤلاء حديث رسول الله ﷺ:

«وَيْلٌ للذي يُحدِّث، فيكذب ليُضحك به القوم، ويل له، ويل له»[2].

---

(١) الترمذي في «الشمائل»، وانظر: «مختصر الشمائل المحمدية» برقم (٢٠٢).

(٢) رواه: أحمد في «مسنده»، وأبو داود، وغيرهما، وتقدّم.

لقـد كان عليه السـلام يمـزح المـزاح النبويّ، يُدخِل السرور في القلوب، ويُرَوِّح عن النّفوس، وما كان ذلك إلا بالحق، فليكن رسول الله ﷺ لنا أسوة وإماماً.

من مزاح رسول الله ﷺ

عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال له: «يا ذا الأُذنين»[1].

قال أبو أسامة: يعني يمازحه.

وعن أنس أيضاً (رضي الله عنه) قال: إن كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخٍ لي صغير: «يا أبا عُمير! ما فعل النُّغير»[2]؟

قال أبو يحيى: وفقه هذا الحديث: أن النبي ﷺ كان يمازح، وفيه أنّـه كَنّى غلاماً صغيراً، فقال له: يا أبا عمير. وفيه أنه لا بأس أن يعطى الصبي الـطير ليلعب به، وإنمـا قال له النبي ﷺ: «يا أبا عمير! ما فعل النغير؟» لأنه كان له نغير يلعب به، فمات، فحزن الغلام عليه، فمازحه النبي ﷺ فقال: «يا أبا عمير: ما فعل النغير؟».

وعن أنس بن مالك (رضي الله تعالى عنه) أنّ رجلاً استحمل رسول الله ﷺ فقال:

«إني حاملك على ولـد ناقـة»! فقال: يا رسول الله ما أصنع بولد

---

(١) رواه: البخـاري في (كتاب الأدب) (باب الانبساط إلى الناس)، وأبو داود، والترمذي، وغيرهم.

(٢) رواه: مسلم بدون كلمـة «يا» برقم (٢١٥٠) (كتـاب الآداب)، والتـرمذي، وغيرهما، والنُّغَير: طائر صغير.

النّاقة؟ فقال ﷺ: وهل تلد الإبل إلاّ النوق»[1].

وعنه (رضي الله عنه) أيضاً:

أنّ رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً، وكان يُهدي إلى النبي ﷺ هديّة من البادية، فيُجهّزه النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ:

«إنّ زاهراً باديتنا، ونحن حاضروه»[2]، وكان ﷺ يحبه، وكان رجلاً دميماً[3]، فأتاه النبي ﷺ يوماً وهو يبيع متاعه، فاحتضنه مِن خلفه، وهو لا يُبصره، فقال: من هذا؟ أرسِلْني. فالْتفت، فعرَف النبيَّ ﷺ، فجعل لا يألو[4] ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرَفه، فجعَل النبي ﷺ يقول: «من يشتري هذا العبد؟» فقال: يا رسول الله! إذاً والله تجدني كاسداً. فقال النبي ﷺ:

«لكن عند الله لست بكاسد». أو قال: «أنت عند الله غالٍ»[5].

وعن الحسن (رحمه الله) قال:

أتت عجوز إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! ادْع الله أن يدخلني الجنة. فقال:

---

(١) أخرجه: الترمذي، وأبو داود، وغيرهما، وانظر: «مختصر الشمائل» برقم (٢٠٣).

(٢) البادي المقيم بالبادية، و(حاضروه) أي حاضرو المدينة له.

(٣) أي قبيح الصورة.

(٤) لا يقصّر.

(٥) رواه: الترمذي في «الشمائل»، والبغوي في «شرح السنة»، وأحمد، وغيرهم، وهو من «مختصر الشمائل» برقم (٢٠٤).

«يا أمَّ فلان! إنَّ الجنة لا تدخلها عجوز». قال: فولّت تبكي، فقال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا[1]﴾»[2].

لقد أوردت صوراً من المزاح التي وقعت منه عليه الصلاة والسلام، ولم يكن فيها الكذب والمكر والخديعة والطعن في الناس.

وكثرة المزاح والإفراط فيه يُؤدِّي إلى كثرة الضحك، المؤدي بالتالي لموت القلب، كما في الحديث الشريف: «لا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب»[3].

ثم إنَّ الانشغال بالمزاح والإكثار منه، يشغل عن الطاعات والتفكير في أحوال الأمة، وما أصابها من كربات، فلا يفكر في حلّ، ولا يسعى لتفريج غمة، ولا يرفع يديه لله تعالى، يطلب العون منه.

واعلم أن النبي ﷺ كما يصفه جابر (رضي الله تعالى عنه): «كان طويل الصمت، قليل الضحك»[4].

لا تنس أخي المسلم أن وقتك ثمين فلا تُضعه عبثاً قبل أن يأتي يوم لا مردَّ له من الله.

---

(١) الواقعة: ٣٥، ٣٦، ٣٧، والأبكار، هنّ العذارى، و(عُرُباً) أي: متحببات إلى أزواجهن بحسن التبعل. و(أتراباً) أي مستويات في سنٍّ واحدة.

(٢) حسن لغيره لشاهد له خرّجه شيخنا في «غاية المرام» برقم (٣٧٥).

(٣) ابن ماجه، وغيره، وهو في «الصحيحة» برقم (٥٠٦).

(٤) تقدّم أول الكتاب.

نهي المرء أن يتحلَّى أو يتشبع بما لم يُعطَ

قال الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

عن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ أُعطي عطاء فوَجد، فلْيجز به، ومن لم يجد فليثْن. فإن مَن أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر، ومن تحلى بما لم يُعطه، كان كلابس ثوبي زور»[2].

وعن أسماء (رضي الله عنها)، أن امرأة قالت: يا رسول الله إنَّ لي ضرَّةً، فهل عليَّ جناحٌ إن تشبَّعْت من زوجي غير الذي يعطيني؟ فقال النبي ﷺ:

«المتشبّع بما لم يُعطَ، كلابس ثوبي زور»[3].

قال النَّووي رحمه الله في «رياض الصالحين»:

(«والمتشبِّع»: هو الذي يُظهر الشَّبع وليس بشبعان، ومعناه هنا: أن يُظهر أنه حصل له فضيلة وليست حاصلة. «ولا بس ثوبي زور» أي ذي زور، وهو الذي يُزَوِّر على النَّاس؛ بأن يتزيَّا بزيّ أهل الزهد والعلم أو الثَّروة

---

(١) آل عمران: ١٨٨

(٢) البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود، وغيرهما، وانظر «الصحيحة» برقم (٦١٧).

(٣) متفق عليه.

ليغترّ به الناس، وليس هو بتلك الصفة، وقيل غير ذلك، والله أعلم).

«قُلت»: وقد يكون التَّشبع بما لم يُعْطَ في أُمور الدُّنيا، كَأَن يُظهر الشّخص للنَّاس أنَّه يعمل في وظيفةٍ أعلى من وظيفته، أو يوهم بعض النّاس أن لعشيرته شأناً كبيراً، أو يوهم بعض النّاس أن لديه معلومات غزيرة في تخصص ما.

وربَّما يُظهر أحدهم من الأشياء، ما يوهم السامع أنّه جامع لمختلف العلوم، فإن سُئل عن سؤال في (الكيمياء) مثلاً، لا يقول: لا أعلم: ولكنَّه يقول: هذا جوابه طويل، وسأبيّنه في لقاء قادم.

وقد يكون التشبّع بما لم يُعطَ في أُمور الآخرة، وهو أشد ذنباً وأكثر إثماً، فَرُبّما يُسأل الشخصُ أسئلة دينية، ويُستفتى فتاوى فقهيَّة، فيفتي بغير علم، ليُظهر أنَّه عالم وأن علمه غزير.

ولربَّما يَسأل أحدهم في مجموعة من إخوانه عن مسألة، فيسارع من هو أقلّ فقهاً بالإجابة، ويحرص على ذلك، ليظهر للناس أنّه أعلم الموجودين.

أو يُفتي أحدهم بالفتاوى، وفيها من دقائق الفقه ما فيها، دون أن يذكر صاحبها، ليحسبها النَّاسُ أنّها من عنده، وليظُنَّ أنه فقيه واسع الفقه، عالم عظيم المعرفة.

نَهْيُ المسلم أن يخطب على خطبة أخيه حتى يَذَر

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يخطب أحدكم ـ أو أحد ـ على خِطبة أخيه، حتى يترك الخاطب

الأول أو يأذَنَهُ فيخطب»[1].

وعن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«المؤمن أخو المؤمن، فلا يَحلُّ للمؤمن أنْ يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر»[2].

النّهي عن البيعة على بيعة أخيه

للحديث السابق.

الجدال والمراء واللدد[3]

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[4].

عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان مُحِقّاً، وبيت في وسط الجنّة، لمن تَرَكَ الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنّة لمن حَسُنَ خُلُقُه»[5].

---

(١) أخرجه: أحمد، وأخرجاه بنحوه مفرّقاً، وهو في «الصحيحة» برقم (١٠٣٠).

(٢) رواه: مسلم (كتاب النكاح) (باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه...).

(٣) في «مختار الصحاح». رجل ألدّ بيّنُ اللدد: أي شديد الخصومة.

(٤) البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٥) رواه: أبو داود وغيره، وهو في «السلسلة الصحيحة» برقم (٢٧٣)، وقال ﷺ: «ما ضلّ قوم بعد هُدى كانوا عليه إلاّ أوتوا الجدل»، رواه: أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وهو في «المشكاة» برقم (١٨٠).

قال الحافظ الذّهبي في «الكبائر»[1]:

قال النووي (رحمه الله): اعلم أن الجدال قد يكون بحق، وقد يكون بباطل قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[4]».

قال: «فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان في مدافعة الحق أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمّه.

قال بعضهم: «ما رأيت شيئاً أذهب للدين، ولا أنقص للمروءة ولا أشغل للقلب من الخصومة».

في كتاب الكبائر أيضاً[5]:

«ويدخل في الذمّ أيضاً من يطلب حقه[6]، لأنه لا يقتصر على قدر الحاجة، بل يظهر اللدد والكذب والإيذاء والتسليط على خصمه، كذلك من خَلَطَ بالخصومة كلمات تؤذي، وليس له إليها حاجة في تحصيل حقه. كذلك من يحمله على الخصومة، محض العناد لقهر الخصم وكسره، فهذا

(١) الكبيرة الستون ـ بحذف يسير ـ.

(٢) العنكبوت: ٤٦.

(٣) النحل: ١٢٥.

(٤) غافر: ٤.

(٥) الكبيرة الستون.

(٦) يُقيّد هذا في حالة تجاوز حقه أو التعدي وإيذاء غيره، كما يتضح من سياق كلامه (رحمه الله تعالى).

هو المذموم.

وأما المظلوم الذي ينصر حُجَّته بطريق الشرع، من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة، من غير قصد عناد ولا إيذاء، ففِعل هذا ليس حراماً، ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلاً، لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال مُتعذَّر، والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب، حصل الحقد بينهما، حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر، ويحزن لمسرّته، ويُطلق لسانه في عرضه، فمن خاصم فقد تعرّض لهذه الآفات».

طلب الولاية

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّكم ستحرصون على الإمارة، وإنَّها ستكون ندامة وحسرة إلى يوم القيامة، فنعمَ المرضعةُ، وبئست الفاطمة»[1].

تحريم سبّ الصحابة

قال رسول الله ﷺ: «مَن سبّ أصحابي، فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين»[2].

---

(١) البخاري وغيره، وانظر: «فتح الباري» باب ما يكره من الحرص على الإمارة.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: يدخل فيه الإمارة العظمى وهي الخلافة، والصغرى وهو الولاية على بعض البلاد، وقال أيضاً: «أُلحقت التاء في بئست دون نعم، والحكم فيهما إن كان فاعلهما مؤنثاً جواز الإلحاق وتركه» وقيل غير ذلك.

(٢) رواه: الطبراني، وأبو نعيم في «الحلية» وغيرهما، وهو من «الصحيحة» برقم (٢٣٤٠).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال:

«لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مُدَّ أحدهم، ولا نصيفه»[1].

ولقد بلغ الأمر ببعض الضالين أن يسبّ أبا بكر أو عمر أو معاوية (رضي الله عنهم)، تعصباً لأفكار نتنة، أو تأويلات فاسدة، أو مسوّغات شيطانية.

ليت شعري، هل عرفوا مقام من سَبُّوا؟ سَبُّوا أبا بكر (رضي الله عنه)، ولَهُ من الفضائل الكثير، من ذلك ما يرويه عمرو بن العاص (رضي الله عنه): «أنَّ النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقُلْتُ: أي الناس أحبّ إليك، قال عائشة، فقلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت ثم مَن؟ قال: ثم عمر بن الخطاب فعدَّ رجالاً»[2].

ومنها استخلافه (رضي الله عنه)، ومن الأدلَّة على ذلك، ما ورد عن عائشة (رضي الله عنها) أنَّها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر أباك، وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فإنِّي أخاف أن يتمنّى متمنٍّ، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[3].

ومنها قوله ﷺ في الغار: «يا أبا بكر: ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[4].

---

(١) البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه: البخاري «الفتح» (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٣) عن «مختصر صحيح مسلم» برقم (١٦٢٨).

(٤) عن «مختصر صحيح مسلم» برقم (١٦٢١).

سَبُّوا أبا بكر (رضي الله عنه) خليفة رسول الله ﷺ، وقد وزن بالأُمَّة فرجح عليها[1].

سَبُّوا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «رأيت شياطين الإنس والجنّ فرُّوا من عمر»[2].

سَبُّوه وقد أقسم الصادق المصدوق عليه السلام في حَقِّه، فقال: «والذي نفسي بيده، ما لَقِيَك الشيطان قط سالكاً فجًّا، إلّا سلك فجًّا غير فجِّك»[3].

فرَّت الشياطين منه (رضي الله عنه) وهو حي، ولكنَّها الآن تشتمه وتسبه لجُبنها وضعفها بعد موته، إنها لا تقدر على المواجهة، مواجهة الرجال للرجال، وما ينالون بأفعالهم هذه سوى الهلاك والخسران.

أين كانت أصواتهم هذه في حياته؟

أين كانت صرخاتهم؟

أين كانت أفكارهم؟

أين كانت منازلهم؟ لقد كانوا في جحر الضب، عفواً بل لم يكونوا شيئاً.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «في «المسند» من وجهين عن النبي ﷺ: «أن النبي ﷺ وزن بالأمة فرجح، ثم وُزن أبو بكر بالأمة فرجح، ثم وُزن عمر بالأمّة فرجح». عن كتاب «الإيمان»، الطبعة الثانية ـ المكتب الإسلامي.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

(٣) عن «مختصر صحيح مسلم» برقم (١٦٣٣).

سَبُّوا معاوية (رضي الله عنه)، كاتب الوحي، وقد دعا له عليه السلام فقال: «اللهم اجعله هادياً مهدياً، واهده واهدِ به»[1].

رضي الله عن أبي بكر وعن عمر ورضي الله عن الصحابة جميعاً فقد قهروا الأعداء في الحياة وبعد الموت.

جعَلنا الله تعالى من أتباعهم، وأماتنا على منهاجهم.

تحريم سبّ المسلم ولعنه[2]

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[3].

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«سباب المسلم فسوق، وقتاله كُفر»[4].

وعن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكُفر؛ إلاَّ ارتدّت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك»[5].

---

(١) أخرجه: البخاري في «التاريخ»، والترمذي، وغيرهما، وانظر: «الصحيحة» برقم (١٩٦٩).

(٢) هناك حالات يجوز فيها اللعن، كلَعْن من يؤذي المسلمين في طرقاتهم لقوله ﷺ: «من آذى المسلمين في طرقهم؛ وجبت عليه لعنتهم» رواه الطبراني في «الكبير» وغيره، وانظر: «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (١٤٣).

(٣) الأحزاب: ٥٨.

(٤) متفق عليه.

(٥) البخاري (٨ / ١٨).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: أُتي النبي ﷺ برجل قد شرب[1] قال: «اضربوه».

قال أبو هريرة: فَمِنّا الضارب بيده، والضّارب بنعله، والضّارب بثوبه، فلمّا انصرف، قال بعض القوم: أخزاك الله، قال: «لا تقولوا هذا، لا تُعينوا عليه الشيطان»[2].

وعن سعيد بن زيد (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «أربى الربا شتم الأعراض»[3].

وعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ العبد إذا لَعَن شيئاً صعدت اللعنة إلى السّماء، فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض، فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساغاً؛ رجعت إلى الذي لُعِن فإن كان لذلك أهلاً، وإلّا رجعت إلى قائلها»[4].

عن ثابت الضحاك قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعْن المؤمن كقتله»[5].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي

---

(١) أي الخمر.

(٢) البخاري.

(٣) انظر «السلسلة الصحيحة» برقم (١٤٣٣).

(٤) رواه: أبو داود، وروى أحمد وغيره نحوه، وانظر: «صحيح سنن أبي داود» برقم (٤٠٩٩).

(٥) جزء من حديث متفق عليه، البخاري (٨ / ١٩)، ومسلم (١١٠).

لصدِّيق أن يكون لعّاناً»[1].

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطَعّان ولا باللعّان، ولا بالفاحش، ولا بالبذي»[2].

وفي الحديث: «. . . وإن امرؤ سبّك بما يعلم فيك، فلا تسبه بما تعلم فيه، فإنّ أجره لك، ووباله على مَن قاله»[3].

وثبت عن علي (رضي الله عنه) أنه سُئل عن قول الرجل للرجل: يا فاسق يا خبيث؟ قال: «هنّ فواحش، فيهن تعزير، وليس فيهن حدّ»[4].

أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه

عن البراء (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«الـربا اثنان وسبعون باباً، أدناها مثل إتيان الرجل أمّه. .وإن أربى الـربا. استطالة الرجل في عرض أخيه»[5].

ما أعظم حرمة الزنا! وأعظم من ذلك إتيان الرجل أمّه، وهذه الصورة المستقبحة لتوضيح الربا وجريمته، ودرجاته وأبوابه، فإن كان أدنى أبواب الـربا، مثل إتيان الرجل أمه، فما عسى أن يكون الأكبر؟ الجواب مفزع

---

(١) رواه: مسلم (٢٥٩٧) (كتاب البرّ والصلة والآداب).

(٢) أخرجه: أحمد، وابن أبي شيبة في «كتاب الإيمان»، والبخاري في «الأدب المفرد»، وغيرهم، وانظر: «الصحيحة» برقم (٣٢٠).

(٣) أخرجه: أحمد، كما في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٣٥٢).

(٤) أخرجه: البيهقي وغيره، وانظر: «إرواء الغليل» برقم (٢٣٩٣).

(٥) أخرجه: الطبراني في «الأوسط»، وغيره، كما في «الصحيحة» برقم (١٨٧١).

مرعب: «أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه»!

ليتنا نعلم قيمة هذا الحديث.

ليتنا نتدبر بعده ومرماه وما يرشد إليه.

ليت القلوب تعي وتدرك معنى كلام النبي ﷺ، وبذلك نستغني عن كلام كثير وننجو من مصائب جمة، وأوزار ثقيلة.

متى يباح السبابُ؟

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «المُسْتَبَّانِ ما قالا، فعلى البادىء ما لم يَعْتدِ المظلوم»[1].

ومما قاله النووي[2] في شرح هذا الحديث:

«معناه أن إثم السباب الواقع من اثنين مُختصٌّ بالبادىء منهما كلّه، إلّا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار، فيقول للبادىء أكثر مما قال له.

وفي هذا جواز الانتصار بعد ظلمه، فأولئك ما عليهم من سبيل، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾[3] ومع هذا فالصبر والعفو أفضل. قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[4] وللحديث «ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً»[5].

---

(١) رواه: مسلم (كتاب البر والصلة والآداب) (باب النهي عن السباب).

(٢) في شرحه على مسلم (١٦ / ١٤٠) بتصرف.

(٣) الشورى: ٣٩.

(٤) الشورى: ٤٣.

(٥) جزء من حديث رواه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب) (باب استحباب العفو والتواضع)، وغيره.

واعلم أن سباب المسلم بغير حق حرام، كما قال ﷺ: «سباب المسلم فسوق»[1].

ولا يجوز للمسبوب أن ينتصر إلا بمثل ما سبّه ما لم يكن كذِباً أو قذفاً أو سبًّا لأسلافه.

فمن صُور المباح: أن ينتصر بـ (يا ظالم)، يا أحمق، أو جافي، أو نحو ذلك، لأنَّه لا يكاد أحد ينفكّ من هذه الأوصاف».

تحريم التعيير والتوبيخ

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: «إذَا زَنَت الأَمَةُ، فتبيَّن زناها، فليجلدها ولا يثرب[2]، ثم إن زنت، فليجلدها، ولا يثرب، ثم إن زنت الثالثة، فليبعها ولو بحبل من شعر»[3].

لقد أمر الرسول ﷺ هنا بإقامة الحد، ولكنه نهى عن التوبيخ والتعنيف.

إنه ليس من شأنك التثريب والتعيير والتعنيف.

إنّ الإسلام دين يراعي الأحاسيس والمشاعر، وإقامة الحدود من شريعة الإسلام، ولكن التعيير ليس من الدين في شيء.

---

(١) تقدّم قريباً في (باب تحريم سب المسلم ولعنه).

(٢) التثريب: التوبيخ والتعنيف.

(٣) رواه: البخاري في (كتاب البيوع) (باب بيع العبد الزاني)، وهذا لفظه، ومسلم في (كتاب الحدود) (باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنا).

ولم التثريب والتوبيخ والتعيير؟ هل هذا إلا إشفاء لغليل حاقد؟ وهل يترتب عليه صلاح أو نفع . . . ؟

وكأنني أرى من خلال الحديث، أنّ التثريب والتوبيخ، أشد وجعاً وإهانة وإذلالاً من ضرب السياط، هذا إذا ثبت الزنا. فكيف بمن يشيع بين الأبرياء هذه الأفعال، ولا يكفّ عن القذف حيثما حلّ وارتحل، فما عسى أن يكون جزاؤه عند الله تعالى إلا الخسارة؟

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: أُتيَ النبي ﷺ برجل قد شرب خمراً قال: «اضربوه» قال أبو هريرة فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله، قال: لا تقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان»[1].

تأمّل هذه الكلمات:

مِنّا الضارب بيده، ولم يُنكر ذلك الرسول ﷺ، والضّارب بنعله، ولم يُنكر ﷺ، والضارب بثوبه، ولم يُنكره أيضاً عليه الصلاة والسلام، ولكن عندما قال بعض القوم: أخزاك الله. أنكَر رسول الله ﷺ ذلك.

لقد أجاز عليه الصلاة والسلام الضرب، ولم يُجِزْ تطويل اللسان بالقدح أو الشتم، أو الدعاء على صاحب الذنب، فهل من مدّكر. . ؟

وعن جابر بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ:

«اتّقِ الله (عزّ وجلّ)، ولا تحقرنّ من المعروف شيئاً، ولو أنْ تُفرِغَ من دلوكَ في إناء المستسقي، وإياك والمخيلة فإن الله (تبارك وتعالى) لا يحبّ

(١) رواه: البخاري، وقد أوردتُه في باب (تحريم سبّ المسلم ولعنه).

المخيلة، وإن امرؤ شتَمَك وعيرّك بأمر يعلمه فيك، فلا تعيِّره بأمر تعلمه فيه، فيكون لك أجره وعليه إثمه ، ولا تشتمنّ أحداً»[1].

هَبْ أن شخصاً ـ أخي المسلم ـ شَتَمك وعيَّرك بأمر ليس هو فيك. فماذا تفعل؟

أصحاب الهوى يقولون: عيّرْهُ بما فيه، وبما ليس فيه، ورسول الله ﷺ يقول: «فلا تعيّره بأمر تعلمه فيه». والنتيجة ما هي . . «يكون وباله عليه وأجره لك». لكنّي أرى الناس اليوم يعيِّرون من لم يعيّرهم، بل ويفترون ويبتكـرون التُّهم التي لا يرضاها الله تعالى، كل هذا لمن لم يعيّرهم أو يسىء إليهم. فكيف بمن يعيّرهم بما فيهم؟

ذلك لأنهم لا يسألون عن الأجر الذي ذكره (عليه الصلاة والسلام)، . . . الأجر المدَّخر يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

ما ورد في الدعاء على النفس والأولاد والأموال

عن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة، يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»[2].

وعن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال:

«لا يتمنّينّ أحـدكم المـوت من ضُرٍّ أصابه، فإن كان لا بدَّ فاعلاً

(١) أخرجه: أحمد، وغيره، وانظر: «الصحيحة» برقم (٧٧٠).

(٢) جزء من حديث رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب الزهد والرقائق) (باب حديث جابر الطويل)، وغيره.

فلْيقُل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»[1].

وهذه الدعوات والإلحاح فيها، والمداومة عليها. مما انتشر في البيوت، وتردّد على الألسنة.

،وهذا إنما يدُّل على عدم تقدير النعمة، فالأولى أن يشكر العبد ربَّه عليها، لا أن يدعو بزوالها عنه.

وربما وقع الدُّعاء مرَّة من العبد المسلم، فيندم ويستغفر الله ويصمم على عدم العودة، أما أن يداوم أو يكثر، فهذا يدل على خراب القلوب.

وماذا لو وافق الدعاء ساعة استجابة؟ فهلك الأولاد وزال المال واحترق البيت؟

وإنك لتسمع في مختلف الأقطار الإسلامية، ألواناً وأصنافاً من الأدعية من الآباء أو الأمهات على الأبناء، فمن الدعوات المنتشرة في الأردن وفلسطين: «الله يلعنك» «الله يقطعك» وفي مصر: «روح ألبي وربي غضبان عليك»، «داهية تخيبك»، «اجتك البلى»، وفي السعودية: «سبعة[2] شلُّوك» وفي الإمارات «الله يغربلك»، «الله ياخذك»، وفي سوريا: «رب السما يغضب عليك»، «يبعث لك حمّى» «حمى تِسلْأك»[3]، «العين تِسفْأك»[4].

---

(١) رواه البخاري «الفتح» (٥٦٧١) ومسلم (٢٦٨٠) (كتاب الذكر) وغيرهما.

(٢) أي من الجنّ.

(٣) من السلق.

(٤) من الصفق، وهو الضرب الذي يُسمع له صوت.

تحريم الخيانة في النصيحة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال:

«من أُفتي بغير عِلم؛ كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيه بأمر، يعلم أن الرُّشد في غيره، فقد خانه»[1].

وغالباً ما تكون الخيانة لمصلحة مادية، فقد يستشير شخص أخاه في تجارة شيء ما، فيعجب ذلك من استشير، فيُلبِّس عليه الشيطان ليقوم هو بنفس العمل، فيجيب من استشاره بإجابة تصدّه عن هذه التجارة، مُبيّناً له أنّها لا تصلح.

تحريم احتقار المسلمين والسخرية بهم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ[3]﴾[4].

وقال ﷺ: «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[5].

---

(١) أبو داود، وغيره، وهو في «المشكاة» برقم (٢٤٢).

(٢) الحجرات: ١١.

(٣) لمزة: أي كثير الهمز واللمز أي الغيبة.

(٤) الهمزة: ١.

(٥) جزء من حديث رواه مسلم (كتاب البرّ والصّلة والآداب)، ورواه: أبو داود، والترمذي، وغيرهم.

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، فقال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكِبر بَطَرَ الحق[1]، وغَمْط الناس[2]»[3].

تحريم قول العبد هذا من أهل الجنة، أو من أهل النار، والتألي على الله تعالى، وقول هلك الناس ونحوه

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[4].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الرجل هلَك الناس؛ فهو أهلكهم»[5].

وعن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ حدّث «أنَّ رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإنَّ الله تعالى قال: من ذا الذي يتألّى عليّ أن لا أغفر لفلان؟ فإنّي قد غفَرْت لفلان وأحبَطتُ عملَكَ». أو كما قال[6]»[7].

---

(١) دفعه.

(٢) احتقارهم.

(٣) رواه: مسلم (كتاب الإيمان) (باب تحريم الكبر وبيانه).

(٤) الإسراء: ٣٦.

(٥) رواه: مسلم (٢٦٢٣)، وغيره.

(٦) كذا الأصل.

(٧) رواه: مسلم (٢٦٢١)، وغيره.

وعن سعد (رضي الله عنه) قال: «ما سمِعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام»[1].

وقال ﷺ: «لا تُزكّوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البرّ منكم»[2].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال:

«كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، وكان أحدهما مُذنباً، والآخر مجتهداً في العبادة، وكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول أقصر، فوجده يوماً على ذنب، فقال له أقصر، فقال: خلِّني وربي، أبعثت عليّ رقيباً؟! فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يُدخِلك الله الجنّة، فقبض روحهما، فاجتمعا عند ربّ العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنتَ بي عالماً، أو كنتَ على ما في يدي قادراً؟! وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار»[3].

تحريم الطعن في الأنساب

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[4].

وقال عليه الصلاة والسلام: «اثنتان في الناس هما بهم كُفر: الطعن في النسب، والنّياحة على الميت»[5].

---

(١) رواه: البخاري «الفتح» (٣٨١٢).

(٢) رواه: مسلم (كتاب الآداب) (باب استحباب تغيير الاسم القبيح ..»، وغيره.

(٣) رواه: أبو داود، وغيره، وانظر في تخريج «الطحاوية» برقم (٣٦٤).

(٤) الأحزاب: ٥٨.

(٥) رواه: مسلم في (كتاب الجنّة)، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم.

تحريم الفخر بالأنساب

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تعالى أوحى إليّ أنْ تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحدٌ على أحد»[2].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«لينتهينَّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فَحْم جهنم، أو ليكوننّ أهون على الله من الجعل[3] الذي يدهده[4] الخرء بأنفه، إنّ الله أذهب عنكم عبيَّةَ[5] الجاهلية وفخرها بالآباء، إنّما هو مؤمن تقيّ، أو فاجر شقيّ، الناس كلُّهم بنو آدم، وآدم خُلِق من التّراب»[6].

إن التفاخر بالأنساب جزء هام من حياة الناس اليوم، كالتفاخر بالجنسية الفلانية، والعشيرة الفلانية.

والفخر بالأنساب قد يؤدي للطعن في أنساب الآخرين واحتقارهم

---

(١) الشورى: ٤٢.

(٢) رواه: مسلم (٢٨٦٥) (كتاب الجنّة) (باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار)، وغيره.

(٣) في لسان العرب: حيوان معروف كالخنفساء.

(٤) أي: يُدحرج.

(٥) الكبر، «النهاية».

(٦) أخرجه: أبو داود، والترمذي، وغيرهما، وهو في «غاية المرام» برقم (٣١٢).

وغمطهم، وهذا من الكبر الذي بُشِّر صاحبه بالعذاب.

وإذا أردت أن تعرف عِظَم هذا الذّنب، فاسمع قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيتم الرجل يتعزى[1] بعزاء الجاهلية، فأعضّوه بهنِ[2] أبيه ولا تكْنُوا»[3].

ولولا عظم هذا الذنب ما جاءت هذه الألفاظ القاسية، وكأنه لا يناسب مقام هؤلاء إلا الردّ القاسي الذي يُهذِّب ألسنتهم ويردَعهم. فأنْعِم به من رد وأجْمِل به من أسلوب.

النَّهي أن يدّعي المرء إلى غير أبيه أو ينتمي إلى غير مواليه

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«من ادّعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»[4].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال:

---

(١) «التعزي: الانتماء والانتساب إلى القوم، يقال: عزيت الشيء وعزوته أعزيه وأعزوه إذا أسندته إلى أحد، والعزاء والعزوة: اسم لدعوى المستغيث، وهو أن يقول يا لفلان، أو يا للأنصار، ويا للمهاجرين»، «النهاية».

(٢) أي قولوا له: «عضّ أير أبيك»، «النهاية».

(٣) أحمد في «مسنده»، والبخاري في «الأدب المفرد»، وغيرهما، من حديث أُبي رضي الله عنه، وهو في «الصحيحة» برقم (٢٦٩).

(٤) رواه: البخاري، ومسلم، وأحمد، وغيرهم.

«لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رَغِب عن أبيه فهو كُفر»[1].

وعن ابن عمرو: «من ادّعى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنّة عليه حرام»[2].

وعن أبي بكر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«كُفْر بالله تبرؤٌ من نسَب، وإن دَقّ»[3].

النهي عن الفحش وبذاء اللسان

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعّان، ولا باللعّان، ولا بالفاحش، ولا بالبذيّ»[4].

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلاّ زانه»[5].

وعن أسامة بن زيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى يبغض الفاحش المتفحش»[6].

---

(١) رواه: البخاري «الفتح» (٦٧٦٨)، ومسلم (٦٢) (كتاب الإيمان).

(٢) رواه: البخاري «الفتح» (٦٧٦٦)، ومسلم (٦٣) (كتاب الإيمان).

(٣) رواه: أحمد، وابن ماجه، والطبراني في «المعجم الصغير» بسند حسن، كما في تخريج «كتاب الإيمان» لابن تيمية (ص ٣٤٠).

(٤) تقدّم.

(٥) رواه: الترمذي، وابن ماجه، وغيرهما، وهو في «صحيح سنن الترمذي» برقم (١٦٠٧).

(٦) أخرجه: أحمد، وغيره، وانظر: الكلام على حديث (٨٧٦) في «الصحيحة».

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنّ شرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة مَن تَركه الناس اتقاء شرّه»[1].

تحريم الاستغفار للمشركين والكفار

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[2].

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: زار النبي ﷺ قبْر أمّه فبكى، وأبكى من حوله، فقال ﷺ: «استأذنْت ربي في أن استغفر لها، فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأُذِن لي، فزوروا القبور، فإنّها تُذكّر الموت»[3].

ومع الأسف لم تخْلُ أمتنا من مِثل هذا، فإننا نُجامل ونُداهن في مناسبات الكُفّار، بالمشاركة وبالترحّم والاستغفار والدعاء، وقد تبيَّن لنا أنّهم أصحاب الجحيم، وربُّنا سبحانه يقول: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

فإن كنا مؤمنين فليس لنا أن نستغفر للمشركين، وإلّا؛ فلنستغفر لهم ولنفعل ما نشاء.

---

(١) رواه: البخاري «الفتح» (٣١٣٢)، ومسلم (كتاب البرّ والصلة)، وغيرهما.

(٢) التوبة: ١١٣.

(٣) رواه: مسلم (كتاب الجنائز) (باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجلّ في زيارة قبر أمّه).

الفجور عند الخصام

عن ابن عمرو (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«أربع من كُنّ فيه، كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خَصلة منهن؛ كانت فيه خَصلة من النفـاق حتى يدَعَهـا، إذا ائتمن خان، وإذا حدّث كذَب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[1].

أمّا الفجور عند الخصام، فإنّ أمره خطير، وإثمه عظيم، وحسبنا من ذلـك تسمية رسول الله ﷺ له نفاقاً، فإن من يفجر عند الخصام، يركب رأسه، ويعرض عن الحق، ويُقبل على الباطل، منبعثاً في المعاصي، فقد يكذب ويفتري ويسبّ ويشتم.

واعلم أنّ الخصومة فتنة للمسلم مهما كانت صلابة دينه ـ والمعصوم من عصَم الله تعالى ـ فليدرأ الإنسان عن نفسه الخصومة ما استطاع؛ كي يدرأ عن نفسه الآثام والفجور.

ما جاء في الشّرط

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه: البخاري «الفتح» (٣٤)، ومسلم نحوه. في «فيض القدير» (إذا خاصمَ فجَـر) أي: مال في الخصـومـة عن الحق، وفي «لسان العرب» فَجَر الإنسان يفجر فجراً وفجوراً: انبعث في المعاصي، وأصله الميل، والفاجر: المائل، وقيل: يفجر، يضع الشيء في غير موضعه.

وقال المؤرج: فجر: إذا ركب رأسه فمضى غير مكترث.

وقال ابن شميل: الفجور: الرّكوب إلى ما لا يحلّ.

«ما كان مِن شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط»[1].

تحريم القول إنِّي بريء من الإسلام

عن بريدة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

من قال إني بريء من الإسلام، فإنْ كان كاذباً، فهو كما قال، وإنْ كان صادقاً، لم يَعُد إلى الإسلام سالماً»[2].

ما جاء في القصاص

عن خباب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنّ بني إسرائيل لَمّا هلكوا قصُّوا»[3].

وعن عمرو بن زرارة قال: وقف عليَّ عبد الله (يعني ابن مسعود) وأنا أُقصّ، فقال: يا عمرو! لقد ابتدعْتَ بدعة ضلالة، أو أنّك لأهدى من محمد وأصحابه، فلقد رأيتهم تفرقوا عني، حتى رأيت مكاني ما فيه أحد»[4].

---

(١) رواه: البخاري (كتاب البيوع) (باب إذا اشترط شروطاً في البيع لا تحل)، ومسلم (كتاب العتق) (باب إنما الولاء لمن أعتق).

(٢) أخرجه: أحمد، والنسائي، وغيرهما، وانظر «الإرواء» برقم (٢٥٧٦).

(٣) أخرجه: الطبراني في «المعجم الكبير»، وأبو نعيم في «الحلية»، وغيرهما، وانظر: «الصحيحة» برقم (١٦١)، وجاء في «النهاية»: «أي: اتّكَلوا على القول وتركوا العمل، فكان ذلك سبب هلاكهم أو بالعكس؛ لمّا هلَكوا بترك العمل أخلدوا إلى القصص».

(٤) رواه: الدارمي، والطبراني في «الكبير» بإسنادين أحدهما صحيح، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (٥٧).

النهي عن تكلم المرء فيما لا يعنيه[1]

قال ﷺ: «أكثر الناس ذنوباً، أكثرهم كلاماً فيما لا يعنيه»[1].

وقال ﷺ: «من حُسْن إسلام المرء، تركه ما لا يعنيه»[2].

وما حذَّر منه ﷺ وخوّف واقع في الأمة، منتشر فيها مع الأسف.

جاء في فيض القدير: «وفي إفهامه أنّ مِن قُبح إسلام المرء أخذه فيما لا يعنيه، والذي لا يعني هو الفضول كله على اختلاف أنواعه، والذي يعني المرء من الأمور؛ ما تعلّق بضرورة حياته في معاشه، ممّا يُشبعه ويرويه ويستر عورته ويُعفّ فرجه ونحوه ممّا يدفع الضرورة دون ما فيه تلذذ وتنعّم، وسلامته في مَعاده، وهو الإسلام والإيمان والإحسان، وبذلك يسلم من سائر الآفات وجميع الشرور والمخاصمات، وذلك أنَّ حُسْن إسلامه ورسوخ حقيقة تقواه ومجانبته هواه، ومعاناة ما عداه، ضياع للوقت النفيس الذي لا يمكن أن يُعوَّض فائته، فيما لم يُخلق لأجله، فمن عَبَد الله على استحضار قُربه من ربّه أو قُرْب ربه منه فقد حَسُن إسلامه كما مرّ».

وجاء فيه أيضاً: «وممّا لا يعني العبد تعلّمه؛ ما لا يهمّ من العلوم وتركه أهمّ منه، كمن تَرَك وتعلّم العِلم الذي فيه صلاح نفسه، واشتغل بتعلّم ما يُصلح به غيره[3]، كعلم الجدل، ويقول في اعتذاره: نيّتي نفْع الناس، ولو كان صادقاً لبدأ باشتغاله بما يُصْلح نفسه وقلبه، مِن إخراج

---

(١) ولي في هذا رسالة خاصة ـ يسّر الله تعالى إخراجها ـ.

(٢) تقدّم.

(٣) قلت: وربما ضرَّ نفسه، وغيره بهذا العلم.

الصفـات المـذمومة، من نحو حسد ورياء، وكبر وعجب، وتراوس على الأقران وتطاول عليهم، ونحوها من المهلكات، قالوا: وذا الحديث ربع الإسلام وقيل نصفه وقيل كله». انتهى.

قلتُ: والإسلام فِعْل وتَرْك، فمِن حُسن إسلام المرء أن يترك كل ما لا يعنيه، ويذر ما لا يهمه، ويدع ما لا يفيده، وقد يكون الأمر الذي لا يعنيه من الموبقات أو الكبائر، مِن شرك أو كُفر أو فسوق أو ابتداع في الدين ونحو ذلك، فمن أمارات حسن إسلام الشخص أن يتركها جميعاً، وهو لا يفعل هذا الترك، إلا من حافز قد بلغ الغاية في الأهمية، وهو «مِن حُسْن إسلام المرء فعله ما يعنيه»، والذي يعنيه ويهمه على مراتب ودرجات؛ من اعتقاد وإيمان بالغيبيات، والمسابقة إلى الخيرات المنصوص عليها في الكتاب والسنة، وبذلك يكون قد سعى لفِعل كل مأمور وتَرْك كلّ محظور، وهذا هو الإسلام، وعلى قدر إمضاء هذا تكون منزلة العبد عند الله (سبحانه وتعالى).

إذا فهمنا هاتين القاعدتين الجليلتين، استنبطنا منهما قواعد وقواعد، وعلِمْنا أيضاً أنَّ ما يعنينا لا يمكن فهمه إلاّ بالعلم، وما لا يعنينا، كذلك لا ندركه إلا بالعلم، وهذا يستلزم مِنَّا أن نتفقّه في قاعدة: «الأهمّ فالمهمّ» ثم ننطلق إلى العمل كذلك على قاعدة: «النظر في الأولى منه» وبذلك تتمحص العلوم والأقوال والدراسات فيخرج منها الفضول والمحرَّم والرّديء، ويبقى النافع الطيب من ذِكْر الله وسُنّة وفِقه...

وبذلك أيضاً تتغربل الأفعال والأعمال والسلوكيات، فيخرج منها كل ما قبّحه الشرع في الكتاب والسنة، ويبقى النافع المُجدي منه؛ من تلاوة

لكتاب الله تعالى، وتدارُس لسنة النبي ﷺ وأمرٍ بالمعروف ونهي عن المنكر. . .

وبهذا يرتّب المسلم أموره على هذا وينظّمها، ويجعلها في كلّ طيب نافع من نيّة أو قول أو فعل، ولا يرضى لنفسه السفاسف منها، كما في الحديث:

«إنَّ الله عز وجلَّ كريمٌ، يحبُّ الكَرَم ومعالي الأخلاق، ويُبغضُ سَفْسافها»[1].

النهي عن المنّ بالعطية

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾[3].

عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه: الحاكم في «المستدرك»، وأبو نعيم في «الحلية»، وغيرهما، وهو في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٣٧٨).

في «النهاية» (السَّفساف): «الأمر الحقير الرّديء من كل شيء، وهو ضدّ المعالي والمكارم».

عن كتابي «وشي الحلل في مراتب العلم والعمل».

(٢) البقرة: ٢٦٤.

(٣) البقرة: ٢٦٢.

«ثلاثة لا يَقبل الله منهم صَرفاً ولا عَدلاً: عاقّ، ومنّان، ومُكَذِّب بالقدر»[1].

عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاثة لا يكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم». قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال المسبل[2]، والمنّان، والمنفق سلعته بالحَلفِ الكاذب»[3].

أيها المسلمون احذروا من ألسنتكم أن تبطل عليكم أعمالكم.

احذروا منها فإنها تهدّدكم بحرمان الله تعالى من تكليمكم، وعدم تزكيتكم، وإيقاعه بكم العذاب الأليم.

تحريم الهزل بالنكاح والطلاق والرجعة والعتق

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث جِدُّهنّ جِد، وهزلُهُنَّ جِدّ، النكاح، والطّلاق، والرّجعة»[4].

---

(١) رواه: ابن أبي عاصم في «السنة»، والطبراني، وغيرهما، وانظر: «الصحيحة» برقم (١٧٨٥).

والصرف: التوبة، وقيل: النافلة، والعَدْل: الفِدية، وقيل: الفريضة، «النهاية» و«فيض القدير».

(٢) أي المسبل إزاره أسفل من الكعبين.

(٣) رواه: مسلم (كتاب الإيمان) (باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمنّ..).

(٤) أخرجه: أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وهو في «الإرواء» برقم (١٨٢٦).

وعن فضالة بن عبيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث لا يجوز اللعب فيهن: الطلاق والنكاح، والعِتْق»[1].

نهي المرأة أن تسأل زوجها الطلاق من غير بأس

عن ثوبان (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«أيّما امرأة سألت زوجها الطلاق، من غير ما بأس، فحرام عليها رائحة الجنة»[2].

تحريم سب الأموات

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[3].

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ:

«لا تسبّوا الأموات، فإنهم قد أفضَوا إلى ما قدّموا»[4].

---

(١) رواه: عبد الرزاق في «مصنفه»، وغيره، وانظر: الكلام على الحديث (١٨٢٦) من (الإرواء).

(٢) أخرجه: أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم، وانظر: «الإرواء» (٢٠٣٥).

(٣) الأحزاب: ٥٨.

(٤) رواه: البخاري (٢ / ١٢٩).

تحريم النياحة على الميت والدعاء بالويل والثبور

قال ﷺ: «لَعَن الله الخامشة وجهها، والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثُّبور»[1].

وقال ﷺ: «ليس منّا من لَطَم الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»[2].

وعن أبي بردة (رضي الله عنه) قال: «وجع أبو موسى وَجَعاً فغُشي عليه، ورأسه في حَجْر امرأة من أهله، فصاحت امرأة مِن أهله، فلم يستطع أن يردَّ عليها شيئاً. فلما أفاق قال: أنا بريء ممّا برىء منه رسول الله ﷺ: فإنّ رسول الله ﷺ برىء من الصالقة[3]، والحالقة[4]، والشاقّة»[5].

والأحاديث في النهي عن النياحة كثيرة، أكتفي بما أوردت.

تحريم القول لمسلم يا كافر، يا عدو الله، ونحو ذلك

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر فقد باء به أحدُهُما»[6].

---

(١) رواه: ابن ماجه، وغيره، وانظر: «صحيح سنن ابن ماجه» برقم (١٢٨٩).

(٢) رواه: البخاري «الفتح» (١٢٩٤) (كتاب الجنائز)، ومسلم نحوه (كتاب الإيمان) (باب تحريم ضرب الخدود..)، وغيرهما.

(٣) هي التي ترفع صوتها بالبكاء.

(٤) الحالقة: هي التي تحلق رأسها عند المصيبة.

(٥) رواه: البخاري «الفتح» (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤) (كتاب الإيمان) وهذا لفظه.

(٦) رواه: البخاري (٨ / ٣٢)، ومسلم نحوه.

وعن أبي ذر (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«من دعا رجلاً بالكُفر، أو قال: عدوّ الله وليس كذلك، إلا حار[1] عليه»[2].

نهي المرء أن يقول لصاحبه: تعـال أقامرك

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«من حَلَف منكم فقال في حلفه: واللات والعزى، فلْيَقُل: لا إله إلا الله، ومَن قال لصاحبه: تعـالَ أقامِرْك، فليتصدق بشيء»[3].

النهي عن قيل وقال

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[4].

ما جاء في زعموا

عن حذيفة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «بئس مطية

---

(١) حار: رجع.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم (٦١)، والبخاري نحوه «الفتح» (٦٠٤٥).

(٣) البخاري «الفتح» (٤٨٦٠)، ومسلم (١٦٤٧) (كتاب الأيمان).

(٤) رواه: مسلم (١٧١٥)، وغيره، وجاء النهي عن قيل وقال، وكثرة السؤال، بعد الأمر بالتوحيد، ووحدة الصف، وعدم التفرق، مما يُشعر، بعِظَم هذا الأمر الذي استصغره الناس.

الرجل زعموا»[1].

قال شيخنا الألباني ـ حفظه الله تعالى ـ تعليقاً على هذا الحديث:

(قلت: وفي الحديث ذم استعمال هذه الكلمة «زعموا» وإن كانت في اللغة قد تأتي بمعنى قال، كما هومعلوم، ولذلك لم تأت في القرآن إلا في الإخبار عن المذمومين بأشياء مذمومة كانت منهم، مثل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾[2] ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُم﴾[3] ونحو ذلك من الآيات، قال الطحاوي (رحمه الله تعالى) بعد أن ساق بعضها:

«وكل هذه الأشياء؛ فإخبار من الله بها عن قوم مذمومين في أحوال لهم مذمومة، وبأقوال كانت منهم، كانوا فيها كاذبين، فكان مكروهاً لأحد من الناس لزوم أخلاق المذمومين في أخلاقهم، الكافرين في أديانهم، الكاذبين في أقوالهم. وكان الأولى بأهل الإيمان لزوم أخلاق المؤمنين الذين سبقوهم بالإيمان، وما كانوا عليه من المذاهب المحمودة والأقوال الصادقة التي حمدهم الله تعالى عليها، رضوان الله عليهم ورحمته، وبالله التوفيق».

ثمّ قال شيخنا حفظه الله تعالى:

وقال البغوي في «شرح السنة» (٣ / ٤١٣) نسخة المكتب:

---

(١) أخرجه: ابن المبارك في «الزهد»، والبخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود، وغيرهم، وهو في «الصحيحة» برقم (٨٦٦).

(٢) و (٣) بعض الآية (٧) من سورة التغابن وهي بتمامها: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُم وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِير﴾.

«إنّما ذمَّ هذه اللفظة، لأنها تستعمل غالباً في حديث لا سند له، ولا ثبت فيه، إنما هو شيء يُحكى على الألسن، فشبَّه النبي ﷺ ما يقدِّمه الرجل أمام كلامه ليتوصل به إلى حاجته من قولهم: زعموا، بالمطية التي يتوصل بها الرجل إلى مقصده الذي يؤمّه، فأمر النبي ﷺ بالتثبت فيما يحكيه، والاحتياط فيما يرويه، فلا يروي حديثاً حتى يكون مروياً عن ثقة، فقد روي عن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»، وقال عليه السلام: «من حدَّث بحديث يرى أنّه كذب فهو أحد الكاذبين»).

في المسألة

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال:

«لا تزال المسألة بأحدكم، حتى يلقى الله تعالى، وليس في وجهه مُزعةُ لحم»[1].

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ:

«لو يعلم صاحب المسألة ما لَهُ فيها لم يسأل»[2].

وعن ثوبان (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال:

«من سأل مسألة وهو عنها غنيّ، كانت شيناً في وجهه يوم القيامة»[3].

---

(١) البخاري ومسلم والنسائي، والمزعة: هي القطعة.

(٢) رواه: الطبراني في «الكبير» وانظر: «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (٧٨٩).

(٣) رواه: أحمد، والبزار، والطبراني، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (٧٩٢).

وعن حبشي بن جنادة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من سأل من غير فقر، فكأنما يأكل الجمر»[1].

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«لأن يحتطب أحدكم حُزمة على ظهره؛ خير له مِن أن يسأل أحداً فيُعطيَه أو يمنَعه»[2].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله (عزّ وجلّ) إذا أنعم على عبد نعمةً؛ يحبّ أن يرى أثر النعمة عليه ويكره البؤس والتباؤس، ويُبغض السائل المُلحِف، ويحب الحييّ العفيف المتعفّف»[3].

وعن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) قال قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث والذي نفسي بيده إن كنتُ لحالفاً عليهنّ: لا ينقص مال من صدقة، فتصدّقوا، ولا يعفو عبدٌ عن مظلمة إلّا زاده الله بها عِزّاً يوم القيامة، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتحَ الله عليه باب فقر»[4].

---

(١) رواه: الطبراني في «الكبير»، وغيرهما وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (٧٩٣)، وابن خزيمة في «صحيحه».

(٢) رواه: البخاري «الفتح» (٢٠٧٤) (كتاب البيوع)، ومسلم، وغيرهما.

(٣) أخرجه: البيهقي في «شعب الإيمان»، والسهمي في «تاريخ جرجان»، وغيرهما، وهو في «الصحيحة» برقم (١٣٢٠)، والإلحاف: الإلحاح.

(٤) رواه: أحمد، وأبو يعلى، وغيرهما، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (٨٠٥).

النهي عن التقعير في الكلام والتشدق فيه وتكلّف الفصاحة

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال:

«هلك المتنطعون»[1] قالها ثلاثاً[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: «سيكون قوم يأكلون بألسنتهم، كما تأكل البقرة من الأرض»[3].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الله (عزّ وجلّ) يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه تخلّل الباقرة بلسانها»[4].

وعن جابر (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال:

«إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليَّ، وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة، الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون» قالوا: قد علِمنا الثرثارون والمتشدّقون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبِّرون»[5].

---

(١) المبالغون في الأمور، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

(٢) رواه: مسلم (٢٦٧٠) (كتاب العلم) (باب هلك المتنطّعون).

(٣) أخرجه: أحمد، والترمذي، وغيرهما، وهو في «الصحيحة» برقم (٤٢٠).

(٤) أخرجه: أبو داود، والترمذي، وغيرهما، وهو في «الصحيحة» برقم (٨٨٠).

(٥) تقدّم (ص ٣٢).

وقال ﷺ: «إنّ من شرار أمّتي الذين غُذُّوا بالنعيم، الذين يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب، يتشدّقون بالكلام»[1].

نهي المرأة عن نعْت المرأة لزوجها

قال رسول الله ﷺ: «لا تباشر[2] المرأة المرأة، فتنعتها لزوجها، كأنّه ينظر إليها»[3].

وفي هذا النعت والوصف مفاسد كثيرة منها: أن الزوج قد يدخل في نفسه حُبّ هذه المرأة، فتتمناها نفسه، ويهواها قلبه، وكل ذلك منهيٌّ عنه في الشريعة.

يقول الرسول ﷺ: «لكل ابن آدم حظه من الزنا، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والأذنان زناهما الاستماع، واليدان يزنيان، فزناهما البطش والرِّجلان تزنيان، فزناهما المشي، والفم يزني وزناه القُبَل»[4].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال:

«كُتِب على ابن آدم نصيبُهُ من الزنا مُدرِك ذلك لا محالة، فالعينان

---

(١) أخرجه: أحمد في «الزهد»، وغيره، كما في «الصحيحة» برقم (١٨٩١).

(٢) لا تباشر ـ كما في «فيض القدير» ـ أي: لا تمس امرأة بشرة أخرى، ولا تنظر إليها، فالمباشرة: كناية عن النظر، إذ أصلها التقاء البشرتين، فاستعير النظر إلى البشرة، يعني لا تنظر إلى بشرتها.

(٣) البخاري «الفتح» (٥٢٤١) (كتاب النكاح) (باب لا تباشر المرأة...)، وغيره.

(٤) أبو داود عن أبي هريرة، وغيره، وانظر: «صحيح أبي داود» (١٨٨٤)، (١٨٨٥)، (١٨٨٦).

زناهما النّظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنّى، ويصدِّق ذلك الفرج ويكذِّبُهُ»[1].

وأول البادئين بالزنا هذه المرأة، حين زنت بلسانها، وثنّى زوجها بالزنا بالاستماع، ولربما يسعى لأنواع الزنا الأخرى، سواء باليد أو الرجل أو الفم، وأشد ما يخشى عليه؛ أخطره وأعظمه، وهو تصديق كل الأنواع السابقة بالفرج.

ولو لم يكن له إلا تمنّي النفس وهواها، لكان ذلك من المصائب، فإنّ الشيطان يظل مُوسوساً للنّفس، والنّفس الأمّارة بالسوء تَظَل تُزيِّن له هذه الفتاة، ولربما تنمو هذه الشهوة، فتُثْمر من المفاسد الكثيرة، من ذلك أن يكون مُشَوّشاً من زوجته، وربما أدّى هذا التشويش إلى هدم الأسرة، أو أنَّ أحدهم يأتي زوجته متخيلاً تلك، وهذا مما حَرَّم الله تعالى، ولعل تلك المرأة المنعوتة كانت متزوجة فتكون المصائب أعظم وأعظم، لأن الزواج منها متعذّر، ومن الممكن أن يكره هذا الرجل زوجها، ويتمنى موته حتى يحصل عليها.

هذا بعض من الويلات التي جرَّها لسان المرأة عندما وصَفت أخرى لزوجها.

فلنتّق الله تعالى في أنفسنا، ولنَزِنْ أقوالنا وكلماتنا وأفعالنا، فعن كل هذا نحن مسؤولون.

---

(١) رواه: مسلم (٢٦٥٧) (كتاب القدر)، والبخاري نحوه (٨ / ١٥٦).

النهي عن البؤس والتباؤس

قال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الله عزّ وجل إذا أنعم على عبد نعمة، يحبُّ أن يرى أثر النعمة عليه، ويكره البؤس والتباؤس، ويبغض السائل الملحف، ويحب الحييّ العفيف المتعفّف»[1].

وهذا التباؤس من المرء هو التظاهر بالبؤس بألفاظ شتّى، غير شاكر لله أنعمه، وما ينبغي للمسلم أن يشكوَ إلا لله تعالى[2].

وقد يظهر هذا حين يُطلب من أحدهم أداء واجب لوالديه أو إخوانه أو إغاثة مكروب أو إعانة محتاج، يقول: الأعمال نادرة والأشغال قليلة، الأرباح معدومة.

زنا اللسان

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال:

«كُتب على ابن آدم نصيبُه من الزنا، مُدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنّى، ويصدّق ذلك الفرج ويكذّبه»[3].

ومـا أكثر هؤلاء الزناة الذين يصفون العورات، يستمتعون بما حرَّم

---

(١) مضى قريباً.

(٢) هذا لا ينـافي أن يعرض المسلم ما يعانيه من الكروب لإخوانه لحاجة، فقد يجدون لآلامه علاجاً، على أن لا يعرضها تسخطاً.

(٣) تقدَّم قريباً.

الله، ويتلذذون بتعدِّي حدود الله، ولربَّما نُظمت بذلك القصائد، وأُلِّفت القصص، وغُنِّيت الأغاني، وراجت رواجاً لا نظير له بين الرِّجال والنساء، حتى تكون الفتنة في الأرض.

النهي عن مخاطبة المنافق بسيّد ونحوه

عن بريدة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا للمنافق سيدنا، فإنه إن يك سيدكم، فقد أسخطتم ربكم عزّ وجلّ»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا قال الرجل للمنافق يا سيد، فقد أغضب ربه تبارك وتعالى»[2].

النهي عن التزكية

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[3].

وفي الحديث «لا تُزكّوا أنفسكم، الله أعلمُ بأهل البرِّ منكم»[4].

النهي عن المدح في الوجه

عن أبي موسى الأشعريّ (رضي الله عنه) قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يُثني على رجل ويُطريه[5] في المِدحَة فقال: «أهلَكْتم أو قطعتم ظهر

---

(١) أخرجه: أبو داود، والبخاري في «الأدب المفرد»، وأحمد، وغيرهم، وهو في «الصحيحة» برقم (٣٧١).

(٢) أخرجه: الحاكم وغيره، وهو في «الصحيحة» برقم (١٣٨٩).

(٣) النجم: ٣٢.

(٤) تقدّم تخريجه.

(٥) الإطراء: المبالغة في المدح، ومجاوزة الحدّ فيه.

الرّجل»[1].

وعن أبي بكرة (رضي الله عنه) أنّ رجلاً ذُكِر عند النبي ﷺ، فأثنى عليه رجل خيراً، فقال النبي ﷺ: «ويحك قطَعْت عنق صاحبك» يقوله مراراً «إن كان أحدُكم مادحاً لا محالة، فلْيقل: أحسِب كذا وكذا، إن كان يُرى أنّه كذلك، وحسيبُه الله، ولا يزكّي على الله أحداً»[2].

وعن همام بن الحارث أن رجلاً جعل يمدح عثمان (رضي الله عنه)، فعَمِد المقداد فجثا[3] على ركبتَيه وكان رجلاً ضخماً، فجعل يحثو في وجهه الحصباء[4]: فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التراب»[5].

وعن معاوية (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم والتمادُح فإنّه الذّبح»[6].

النهي عن العودة في الصدقة

عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: حَمَلتُ على فرس عتيق

---

(١) رواه: البخاري (٨ / ٢٢)، ومسلم (٣٠٠١) (كتاب الزهد والرقائق).

(٢) رواه: البخاري (٨ / ٢٢)، ومسلم (٣٠٠٠) (كتاب الزهد والرقائق)، وغيرهما.

(٣) من الجثيّ وهو جلسة المستوفز.

(٤) الحصباء: صغار الحصى.

(٥) عن «صحيح مسلم» (٣٠٠٢) (كتاب الزهد الرقائق).

(٦) أخرجه: ابن ماجه، وغيره، كما في «الصحيحة» برقم (١٢٨٤).

في سبيل الله[1]، فأضاعه صاحبه[2]، فظننت أنه بائعه برُخْص، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «لا تبتَعْه[3]، ولا تَعُدْ في صدقتك، فإنّ العائد في صدقته كالكلب يقيء، ثم يعود في قيئه»[4].

النهي عن لفظة «لو»[5]

قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾[6].

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾[7].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القويّ خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعِنْ بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تَقُلْ: لو أني فعَلْت كان كذا وكذا، ولكن قُل: قَدَرُ الله وما شاء فعل، فإنّ لو تفتح عمل الشيطان»[8].

---

(١) أي وهبْته لمن يقاتل في سبيل الله تعالى.

(٢) الإضاعة هنا: التقصير في القيام بإطعامه.

(٣) لا تشتره.

(٤) عن «مختصر مسلم» برقم (٩٨٨).

(٥) ليس هذا النهي على إطلاقه، وفي الكلام تفصيل ليس هذا موضعه، وقد أفرد البخاري في «صحيحه» باباً بعنوان (ما يجوز من اللو)، ومن الأمثلة على جواز ذلك قوله ﷺ: «لو أني استقبلت من أمري ما استدْبرت ما أهديت، ولولا أني معي الهدي لأحلَلْت)، رواه: البخاري (٣ / ٧١٥)، ومسلم نحوه (كتاب الحج).

(٦) آل عمران: ١٥٤. (٧) آل عمران: ١٦٨.

(٨) رواه: مسلم (٢٦٦٤) (كتاب القدر)، وغيره.

وهذه الكلمة شاع استعمالها وعمّ وطمّ، فلم يكد يخلو منها لسان إلا وتلفّظ بها، ولا فم إلا وتفوّه بها، إنهما حرفان فقط، ولكنهما دلاّ على أشياء كثيرة وعظيمة.

دلاّ على أشياء كثيرة وعظيمة، دلاّ على ضيق صدر المتلفّظ بهما وضعف إيمانه بقدر الله تعالى، وعدم تسليمه واستسلامه لله سبحانه.

دلت على سوء الخلق مع الأزواج والأحباب والإخوة والأصحاب.

دلّت على نقصان الصبر.

أجل إنّها تفتح عمل الشيطان.

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: «ما مسَسْت ديباجاً ولا حريراً ألين من كفّ رسول الله ﷺ، ولا شمَمْت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمْتُ رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلته: لِمَ فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلتَ كذا؟»(١).

أجْمِلْ به من خلق وأحْسن به من ذوق إسلامي فاضل. وأين نحن من هذه الأخلاق؟

ما أكثر تأفّفات القلب، وما أعظم تأففات اللسان، إنّها نار تتأجج، وحروف تلدغ وكلمات تقتل، وأقوال تحرق، ويا لها من ألسنة ـ أثْقِلْ بدماء أصْحابها ـ.

ما أكثر ما يقول الناس لِمَ فعلت، ألا فَعلْت كذا وكذا! ويا ليتهم يعلمون أنهم يخطئون. بل يحسبون أنهم في هذا مهتدون.

(١) متفق عليه، وتقدّم.

اهـدنـا اللهم لكتـابـك العـظيم وسنـة نبيك الكريم، واجعلنا من المتخلّقين بأخلاقه النبوية، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الحَلِف في البيع

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحَلِفُ منفقة للسِّلعة، مَمْحقةٌ للبركة»[1].

وعن أبي قتادة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«إيّاكم وكثرة الحَلِف في البيع، فإنه يُنَفِّقُ ثم يَمْحَق»[2].

النَّهي عن التحدّث بتلعب الشيطان في المنام

عن جابر بن عبدالله (رضي الله عنهما) قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقـال: يا رسول الله: رأيت في المنام كأنّ رأسي ضُرب فتدحرج، فاشتـدَدْت على أثره، فقال رسول الله ﷺ للأعرابي: «لا تحدِّث الناس بتلعب الشيطان بـك في منامك».

وقال: سمعت النبي ﷺ يخطب فقال: «لا يحدثنّ أحدكم بتلعّب الشيطان به في منامه»[3].

---

(١) رواه: البخـاري «الفتـح» (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦)، بلفظ «للربـح» بدل للبركة، وغيرهما.

ومعنى الحـديث: «إنَّ اليمين الكـاذبة على البيع، تُروّج للسلعة وتُنفقها، ولكنها تُذهِب البركة منها».

(٢) رواه: مسلم (١٦٠٧) (كتاب المساقاة) وغيرُه.

(٣) انظر «مختصر مسلم» برقم (١٥٢٢).

ولقد اشتغل الناس كثيراً بهذا الحصاد، واشتغل الشيطان بهؤلاء تلعُّباً.

تسمع كثيراً قول أحدهم: «في منامي فعلتُ كذا وكذا بفلانة، وربّما في دابّة» أو يقول: «لو رأيتني وأنا أقتل أبي أو أخي في منامي» وغير ذلك كثير.

ما جاء في سَبِّ الشيطان

قال رسول الله ﷺ: «لا تسبُّوا الشيطان، وتعوَّذوا بالله من شرِّه»(١).

النَّهي عن قول تعس الشيطان

عن أبي المليح، عن رجل قال: كنتُ رديف النبي ﷺ، فعثرت دابته، فقُلْت: تَعِسَ الشيطان، فقال:

«لا تَقُلْ تَعِس الشيطان فإنك إذا قُلْت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت، ويقول: بقوتي، ولكن قُلْ: «بسم الله» فإنّك إذا قُلت ذلك، تصاغر حتى يكون مثلَ الذُّباب»(٢).

ما وردَ في شتم الكفّار وآلهتهم

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ

---

(١) أخرجه: الديلمي، وتمام في فوائده، وغيرهما، كما في «الصحيحة» برقم (٢٤٢٢).

(٢) أخرجه: أبو داود، وغيره، وجهالة الصحابي لا تضرّ لأنهم كلّهم عدول، وانظر «الكلم الطيب» برقم (٢٣٧).

عَدْوَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1].

وعن سعيد بن زيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُؤذوا مسلماً بشتم كافر»[2].

ما جاء في التحلّم كاذباً

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ:

«من تحلَّم بحلم لم يرَه؛ كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل»[3].

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ:

«مِن أفرى الفِرى[4]، أن يُرِيَ عينه في المنام ما لم تَرَ»[5].

تحريم النّذر في معصية الله تعالى

عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ قال:

«من نَذَر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»[6].

---

(١) الأنعام: ١٠٨.

(٢) رواه: البيهقي في «الشُّعب»، وغيره، وهو من «صحيح الترغيب والترهيب» (٤ / ١٧٥)، (الترغيب في الدعاء للميت...) يسّر الله إخراجه.

(٣) رواه: البخاري (الفتح) (٧٠٤٢)، وغيره.

(٤) جمع فرية، وهي الكذبة، وأفرى: أفعلُ منه للتفضيل: أي من أكذب الكَذِبات أن يقول: «رأيت في النوم كذا وكذا ولم يكن رأى شيئاً...» «النهاية».

(٥) رواه: البخاري «الفتح» (٧٠٤٣)، وغيره.

(٦) رواه: البخاري، وغيره، وتقدّم في باب (النذر لغير الله تعالى).

كراهة القول خبثت نفسي

عن عائشة (رضي الله عنها) عن النبي ﷺ قال:

«لا يقولَنَّ أحدكم خبُثت نفسي، ولكن ليقل: لَقِسَت نفسي»[1].

كراهة تسمية العنب كرماً

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تسموا العنب الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم»[2].

وقال ﷺ أيضاً: «ويقولون: الكَرْم، إنّما الكَرْم قلب المؤمن»[3].

النهي عن التكلم والإمام يخطب

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا قُلْت لصاحِبك يومَ الجُمُعة أنصِت والإمام يخطُب فقد لغَوْتَ»[4].

النَّهي عن سب الدابة

عن عمران بن الحصين (رضي الله عنه) قال: بينما رسول الله ﷺ

---

(١) رواه: البخاري (٨ / ٥١)، ومسلم (٢٢٥٠).

و(لَقِسَت نفسي: أي غَثت، واللَّقْس: الغثيان، وإنّما كره «خَبُثت» هرباً من لفظ الخُبْث والخبيث) «النهاية».

(٢) روى البخاري شطره الأول (٨ / ٥١)، ومسلم بتمامه (٢٢٤٧).

(٣) البخاري عن أبي هريرة.

(٤) أخرجه: البخاري (٢ / ١٦)، ومسلم (٨٥١)، والنسائي، وغيرهم.

في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة، فضجرت فلَعَنَتْها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «خذوا ما عليها ودعوها، فإنّها ملعونة».

قال عمران: (فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد)[1].

وعن أبي برزة الأسلمي (رضي الله عنه) قال: بينما جارية على ناقة، عليها بعض متاع القوم، إذ بصُرت بالنبي ﷺ وتضايق بِهِمُ الجبل، فقالت: حَلْ[2] اللهم العَنْها، فقال النبي ﷺ: «لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة»[3].

يا له من دين عظيم جميل ينهى عن سب الدابة.

دين يسعى لتنقية الفؤاد.

دين يسعى لتنقية اللسان.

وإنَّ إنساناً تعوّد على سب الدابة؛ ليسير عليه أن يسبَّ الناس، وإن إنساناً تعود على حفظ لسانه من سب الدابة؛ ليسير عليه أن يحفظه في كل ما يرضي الله تعالى إن شاء الله.

النهي عن سب الريح

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«الريح من روح الله، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا

---

(١) رواه: مسلم (٢٥٩٥) (كتاب البر والصلة والآداب) (باب النهي عن لعْن الدواب وغيرها).

(٢) حَلْ: كلمة تقال لزجر الإبل.

(٣) رواه: مسلم (٢٥٩٦) نفس الكتاب والباب.

تسبّوها، واسألوا الله خيرَها، واستعيذوا بالله من شرّها»[1].

النهي عن سب الديك

عن زيد بن خالد (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا الديك، فإنه يوقظ للصلاة»[2].

ومن المعهود في بعض البلاد الإسلامية أن يروي البعض غليلهم بسب الديك ـ زعماً منهم أنهم لا يسبون الدين ـ عياذاً بالله تعالى ـ وإنما الديك[3]! وهذا أيضاً لا يجوز للحديث الذي ذَكرْت.

تحريم سب الدهر

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»[4].

كراهة سب الحمى

عن جابر (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيَّب فقال: ما لَكِ يا أُمَّ السائب! أو يا أمّ المسيَّب تُزفزِفين»[5]؟

---

(١) أخرجه: أبو داود، وابن ماجه، وغيرهما، وهو في «الكلم الطيّب» برقم (١٥٣).

(٢) رواه: أبو داود وإسناده صحيح، كما في «المشكاة» برقم (٤١٣٦).

(٣) وأكثر ما يعرف هذا عند العصاة والفساق.

(٤) رواه: مسلم، قال النووي في شرح «صحيح مسلم»: «أي لا تسبّوا فاعل النوازل فإنكم إذا سببتم فاعلها، وَقَع السبّ على الله تعالى، لأنه هو فاعلها ومنزلها، وأما الدهر الذي هو الزمان فلا فِعْل له، بل هو مخلوق من جملة خَلْق الله تعالى»، ومعنى (فإن الله هو الدهر) أي: فاعل النوازل والحوادث، وخالق الكائنات والله أعلم.

(٥) تُزفزِفين: ترتعدين.

قالت: الحُمّى، لا بارك الله فيها! فقال:

«لا تسبي الحُمّى، فإنها تُذهِب خطايا بني آدم، كما يُذهِب الكير خَبَث الحديد»(١).

النَّهيُ عن نشد الضَّالّة والبيع في المسجد

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«من سمع رجلاً يَنشُدُ ضالَّة في المسجد، فلْيقُل لا ردَّها الله عليك، فإن المساجد لم تُبْنَ لهذا»(٢).

وعن بريدة (رضي الله عنه) أنَّ رجلاً نَشَد في المسجد فقال: من دعا إلى الجمل الأحمر؟ فقال النبيُّ ﷺ: «لا وجَدْتَ، إنما بُنيت المساجد لما بُنيت له»(٣).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينْشُدُ ضالَّة فقولوا: لا ردَّ الله عليك ضالتك»(٤).

النَّهيُ عن القول شاهنشاه للسلطان

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه: مسلم (٤٥٧٥)، والبخاري في «الأدب المفرد»، وغيرهما.

(٢) رواه: مسلم (٥٦٨)، وغيره.

(٣) رواه: مسلم (٥٦٩).

(٤) رواه: الترمذي، والدارمي، وغيرهما، وهو في «المشكاة» برقم (٧٣٣).

«إن أخنع[1] اسم عند الله رجل تسمّى ملك الأملاك»[2].

قال سفيان: يقول غيره[3] تفسيره شاهان شاه.

اللسان ملاك الخيرات

بعد أن ذكرت من حصائد الألسن ما ذكرت، أود أن نعيش لحظات مع قول النبي ﷺ لمعاذ: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله»، وقد ذَكَر ذلك النبي ﷺ بعد أن ذَكر الإسلام، والصلاة، والجهاد، والزكاة، والصوم، والحج.

قد عرفْت أخي المسلم كيف يُدخل اللسان صاحبه في النار، من خلال كلمة الكفر ـ كما قد تقدم معنا ـ وكيف يكفر الكافر، ويبتدع المبتدع، ويعصي العاصي كل ذلك من خلال اللسان.

فلا تعجبنّ بعد هذا أن يكون اللسان ملاك الخير كلّه، ولا يكوْن ذلك إلا بكفّ اللسان، كما أرشدنا نبينا وحبيبنا ﷺ.

كيف تكون التَّوبةُ من حصائد الألسن؟

١ ـ الإقلاع عن المعصية.

٢ ـ النّدم على فعلها.

٣ ـ العزم ألا يعود إليها أبداً.

---

(١) أذلّ. جاء في «صحيح مسلم» (٢١٤٣)، وقال أحمد بن حنبل: سألت أبا عمرو عن أخنع؟ فقال: أوضع.

(٢) رواه: البخاري «الفتح» (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣) وهذا لفظه.

(٣) أي غير أبي الزناد أحد الرواة.

٤ ـ استحلال صاحب الحق من ذلك، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وإن خشي وقوع مفسدة، فإنه يكتفي بالدعاء له[1].

علاج اللسان[2]

لقد ذكرت ما يسَّره الله تعالى من آفات اللسان وأدوائه، ولا بدَّ لنا أن نبحث عن علاج لهذا الداء، فما من داء إلا وله دواء، إلا الموت والهرم، وأحق الأدواء بالتداوي، الأدواء التي تصيب القلب واللسان. وأما ما اهتديت إليه من علاج لآفات اللسان فهو:

١ ـ معرفة عظمة الله تعالى، وأسمائه وصفاته والإلمام بتوحيده سبحانه قدر الإمكان، إذ إنَّ في تعظيم الله سبحانه، تعظيم لحرماته، وهو دواء ناجع للقلب، لنبذ الشهوات والفسوق والعصيان.

٢ ـ معرفة النّصوص التي تُبيِّن ما أعد الله تعالى للمتقين في الجنَّة.

فمن تفكَّر في الجنة وآمَن بها كما يُحبّ ربنا ويرضى، فإنّه سيؤثر نعيم الجنة على كل نعيم، ومن لمْ يعرف الجنة وما بها من نعيم، فإنه يبحث عن النعيم، فيدلّه الشيطان على آفات اللسان، كالغيبة والنميمة والبهتان، ومن يتحرَّ خير اللسان يُعطَه، ومن يتَّقِ شرّ يوقه، لقوله عليه

---

(١) هذه شروط التوبة من أي ذنب.

(٢) هنالك أمورٌ تتعلق بعلاج اللسان، تشترك مع علاج الرياء، وقد أوردتها في كتاب الإخلاص، فاكتفيت بتعدادها دون التفصيل، وحبذا تكرار الاطلاع عليها بين وقت وآخر، لأنّ النفس البشرية كثيرة النسيان، والشيطان كثير التلبيس، والنفس أمارة بالسوء، فالتكرار فيه ذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين.

السلام: «. . . ومن يتحرَّ الخير يُعطه، ومن يتوقَّ الشر يوقه»[1].

٣ ـ معرفة ما في القبر من عذاب ونعيم[2].

إنَّ في قراءة النصوص المتعلقة بالقبر لعبرة، لأن ما ذُكر فيها من العذاب، كافٍ لردع اللسان عن الخوض بما يغضب الله سبحانه، وما وَرَد من النعيم في القبر؛ يدفع المسلم للصبر عن الخوض بلسانه، ويجعله يُمسِك عن الشر.

٤ ـ معرفتك للآيات والأحاديث التي تُبيّن عذاب النار.

فإنّ من تفكَّر في النار وأحسن التفكير؛ هانت عليه الدنيا وما فيها، وحاسَب نفسه على الكلمة قبل أن يُخرجها، لئلا يمسّه من عذابها، أو يناله من حرِّها.

٥ ـ تذكّر الموت وقصر الأمل:

قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ

---

(١) جزء من حديث أخرجه الخطيب في «تاريخه»، والطبراني، وغيرهما، وهو من «الصحيحة» برقم (٣٤٢).

(٢) راجع كتابي «القبر عذابه ونعيمه»، طبع المكتبة الإسلامية.

(٣) آل عمران: ١٥٨.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1].

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: أخَذَ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

وكان ابن عمر يقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك)[2].

والمتأمل المتدبر للآيات والأحاديث التي تذكر الموت وقصر الأمل، لا يمكن أن يسمح للسانه، أن يقع في الآثام والخطايا. لأنه يخشى أن يموت وهو يخوض في الباطل، فهو يستحضر قوله عليه السلام: «يُبعث كل عبد على ما مات عليه»[3].

٦ ـ الإكثار من قراءة الآيات والأحاديث التي تأمر وتُرغّب بحفظ اللسان وتنهى عن الخوض به.

٧ ـ الصلاة: قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[4].

وقيل لرسول الله ﷺ: «إنّ فلاناً يُصلي الليل كلّه، فإذا أصبح سَرَقَ! فقال: «سينهاه ما تقول، أو قال: ستمنعه صلاته»[5].

---

(١) المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) رواه: البخاري (٨ / ١١٠).

(٣) رواه: مسلم (كتاب الجنّة) (باب الأمر بحُسن الظن بالله تعالى عند الموت).

(٤) العنكبوت: ٤٥.

(٥) رواه: أحمد، والبزار، والطحاوي في «مشكل الآثار»، وغيرهم، وانظر: التعليق على حديث رقم (٢) من «السلسلة الضعيفة».

وقال عليه الصلاة والسلام «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم»[1].

فقيام الليل ينهى النفس البشرية عن الآثام والذنوب والعصيان، وذلك إن توفَّر الإخلاص لله تعالى.

والصَّلاة الخاشعة تَصِل القلب بالله تعالى، وإذا صَلَح القلب، صَلَح سائر الجسد[2]، ويصلح من ذلك اللسان، فلا ينطق إلا بالخير.

٨ ـ الدعاء[3]: وهو الملجأ العظيم الذي يلجأ العبد فيه لربّه، يدعوه ويبتهل إليه أن يحفظ لسانه، ويتحرى الساعات المستجابة، ويراعي آدابه. داعياً بلسانه وقلبه، فمن أخلص لله في دعائه، فإنّه بإذن الله مهتد للحق نائل ما أراد.

٩ ـ الصمت: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله عبداً قال خيراً فغنم، أو سَكَت عن سوء فسلم»[4].

وعن ابن عمرو (رضي الله عنهما) قال: قال ﷺ:

---

(١) أخرجه: الحاكم، والبيهقي، وغيرهما، وانظر: «الإرواء» برقم (٤٥٢)، و«صحيح الترغيب» برقم (٦١٨).

(٢) في الحديث الصحيح: «ألا وإنّ في الجسد مضغة، إذا صَلَحَت صَلَح الجسد كله، وإذا فسدت فَسَد الجسد كله، ألا وهي القلب»، رواه: البخاري (١ / ٢٠)، ومسلم (١٥٩٩)، وغيرهما، وتقدّم.

(٣) راجع كتابي «الدعاء» طبع المكتبة الإسلامية.

(٤) أخرجه: ابن المبارك في «الزهد»، والبيهقي في «الشُعَب»، وغيرهما، وهو في «الصحيحة» تحت حديث (٨٥٥).

«مَن صَمَت نجا»[1].

وقال أيضاً: «إنك لا تزال سالماً ما سكتَّ، فإذا تكلَّمْتَ، كُتِب لك أو عليك»[1].

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمُت»[1].

وعن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) قال: قلت يا رسول الله: ما النجاة؟ قال: «أَمْسِك عليك لسانك، وليسعْك بيتك، وابْكِ على خطيئتك»[1].

وقال عليه السلام: «إذا غضب أحدكم فليسْكُت»[2] وقال ﷺ: «طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته»[1].

والمتدبر لهذه الأحاديث[3]؛ يجد أن الصمت فيه النجاة والسعادة، ولم يَقُلْ عليه السلام عن المتكلم أنه ينجو، لأن النجاة في الكلام مشروطة بالإخلاص لله في النية، وأن يكون الكلام موافقاً للشريعة، فعليك بالصمت، فليس لك في النجاة مثله.

قال الغزالي في «إحياء علوم الدين»:

«ويدلّك على فضل لزوم الصمت، وهو أن الكلام على أربعة أقسام:

---

(١) تقدّمت.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وأحمد، وغيرهما، وهو في «الصحيحة» برقم (١٣٧٥).

(٣) للمزيد من الأحاديث في هذا الباب راجع «الترغيب في الصمت إلا عن خير» (ص ١٨).

قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة.

أما الذي هو ضرر، فلا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر. وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر، فهو فضول، والاشتغال به تضييع للوقت، فلا يبقى إلا القسم الرابع، فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام، وبقي الربع، وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم، من دقائق الرياء، والتصنع وتزكية النفس، وفضول الكلام، امتزاجاً يخفى دركه، يكون الإنسان به مُخاطِراً».

١٠ ـ مصاحبة من ترى فيهم الصلاح والتقوى ومن يصونون ألسنتهم عن المعاصي.

عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَل الجليس الصالح والجليس السَّوْء، كمثل صاحب المِسك وكير الحدّاد، لا يعدَمُك من صاحب المِسك، إما تشتريه، أو تجد ريحه، وكير الحداد، يُحرق بدنك أو ثوبك، أو تجد منه ريحاً خبيثةً»[1].

وفي الحديث: «إن الله لم يبعث نبياً ولا خليفة إلاّ وله بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالاً[2]، ومن يوقَ بطانة السوء فقد وُقي»[3].

---

(١) رواه: البخاري (٣ / ٨٢)، وغيره.

(٢) الخَبال: الهلاك والنقصان.

(٣) أخرجه: البخاري في «الأدب المفرد»، والترمذي في «السنن»، والبخاري معلّقاً، ووصله الطحاوي، وانظر: «الصحيحة» برقم (١٦٤١). =

وقال ﷺ: «الرَّجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالِل»[1].

١١ ـ معرفة ما ينفر منه الشيطان.

إن الشيطان عدوّك، عدو الإسلام، عدوّ الإيمان، وهو الموسوس الدائم بكل حصائد الألسن، فكن له من ألدّ الأعداء، وابحث عما ينفره كي تنجو منه، ولتزداد قرباً من الله تعالى.

والأمور التي ينفر منها الشيطان كثيرة[2] مذكورة في الكتاب والسنة منها:

الاستعاذة بالله، وقراءة القرآن الكريم، ولا سيما المعوذتين وسورة البقرة.

١٢ ـ تعظيمك لحقوق العباد[3].

١٣ ـ الاشتغال بالطاعات، كالعِلم والتعلم والصلاة والصيام والذكر وقراءة القرآن، إذ إنَّ المشتغل بالعبادات والطاعات، يعظم عليه بعد التعود عليها، أن يصرف أوقاته في سواها، فهي تملأ فراغه، وتسدّ السبل أمام تلبيس الشيطان للمعاصي وآفات اللسان.

= ومعنى (لا تألوه خبالاً): أي تسعى في المخالفة والإضرار بكل ممكن وبكل مكر مستطاع وخديعة مقدورة.

(١) أخرجه: أبو داود، والترمذي، وأحمد، وغيرهم، وهو في «الصحيحة» برقم (٩٢٧).

(٢) في كتابي «الإخلاص» باب مستقل بعنوان: (فيما ينفر منه الشيطان) جمعت فيه واحداً وعشرين أمراً ينفر منه الشيطان.

(٣) راجع: «عاقبة الظلم» (ص ٢٦).

وإن العبـد أحصن ما يكون من الشيطان وأبعد ما يكون من مكْره وكيده، إذا كان في ذِكر الله سبحانه وتعالى، ودليل ذلك ما رواه الحارث بن الحارث الأشعري في الحديث الطويل العظيم عن النبي ﷺ وفيه يقول: «إنَّ الله أمرَ يحيى بن زكـريا بخمس كلمات، أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها. . .» ثم ذكر فيه رسول الله ﷺ هذه الأوامر والأمور وفي الخامسة منها، يقول عليه الصلاة والسلام:

«وأمرَكم أن تذكروا الله فإنَّ مثَلَ ذلك؛ كمَثَل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان، إلا بذكر الله»[1].

١٤ ـ الإكثار من قراءة الآيات والأحاديث المتعلقة بالصبر.

فانعدام الصبر أو نقصانه يوظّف اللسان بغير ما يُرضي الله تعالى، ومَنْ منَّ الله عليه بالصبر، فقد مَنّ عليه سبحانه وتعالى بخير عظيم، منها حِفظ اللسان من الآفات والمهلكات.

١٥ ـ قراءة النصوص المتعلّقة بالقدر وذم الحسد.

لقـد سبق أن ذكـرتُ، أنّ من أسبـاب الخـوض باللسان، نقصان الإيمان بالقدر، ولربما رأى رجل آخر، فاقه علماً أو مالاً أو جاهاً، فينفّس عن حسده بغيبته له، أو يرميه بشيء هو منه بريء، فالعلاج الناجع لهذا، أن يقرأ النصوص المتعلقة بالقدر وذم الحسد، حتى يرضى بقدر الله عز

---

(١) رواه: الترمذي، وابن خزيمة، وغيرهما، وهو من «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (١٥٥٠).

وجل، ويذَر حسده.

١٦ ـ قراءة النصوص المتعلقة بذم الكبر[١].

وربما دفع اللسانَ للباطل والإثم كِبرٌ في النفس، وازدراء للناس، فلا يتم الشفاء إلا بمجاهدة هذا الكبر ومعالجته.

١٧ ـ اعتزال الناس والقعود في البيت.

وهـذا حين يحس بضعف لسـانه عند لقاء الناس، ولا يقوى على حِفظه، أو أنه نظر للناس فرآهم لا يحفظون ألسنتهم، فعندئذ لا حلّ أسلم من اعتـزالهم، وذلك حينما يجدب الأمر بالمعروف، ويقحط النهي عن المنكر، وعندما لا يكون للذكرى نفع مع أولئك الناس.

عن معاذ (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«خمسٌ من فَعَـل واحـدة منهنَّ، كان ضامنـاً على الله: من عاد مريضاً، أو خرج مع جنازة، أو أخرج غازياً، أو دخل على إمامه يريد تعزيره وتوقيره، أو قعد في بيته، فسَلِم الناس منه، وسلم من الناس»[٢].

١٨ ـ صوم ثلاثـة أيام من كل شهـر، وذلك لقول رسول الله ﷺ: «صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كل شهر، يُذهِبن وَحَر الصدر»[٣] فإن هذا

(١) راجع: «الكبر» (ص ٤٤) من باب «أمراض يعاني منها الحاصدون بألسنتهم».

(٢) أخرجه: أحمد، والبزار، والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وغيرهم، وانظر كتاب «السنة» لابن أبي عاصم برقم (١٠٢١).

(٣) رواه: البزار، وأحمد، وابن حبان في «صحيحه»، والبيهقي، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (١٠١٨).

وشهر الصبر: رمضان، ووَحَر الصدر: هو غشّه وحقده وغلّه ووسواسه وبلابله.

الصيام يذهب غشّ الصدر، وحقده، ووساوسه، وبذلك تسمو النّفس ويصفو اللسان.

١٩ ـ السَّعي لتنقية القلب وعلاجه من الأدواء.

من المهم ـ أخي المسلم ـ أن تعالج قلبك.

عالجه من الحسد والحقد وسوء الظن والعداوة والبغضاء، فهذه تُنبت حصائد الألسن، واملأ قلبك بحب الخير والمحبّة في الله، وحسن الظن بالإخوة في الله، فهذه تحميك من عثرات اللسان. فالإنسان الذي يخاصم، قد يمضي وقت خصومته في التحدث عن الخصم، عن أفعاله وصنائعه، وقد يبلغ الآخر ما قيل عنه، فيبادله بما صنع، أو يزيد عليه. وربما يبلغ الأمر أن يجد في نفسه لذكر أخيه بالسوء لذة ومتعة، وهذه خطورة مفزعة. وأما حين يكون القلب راضياً، فهو يغض الطرف عن العيوب، وأجمل بقول الشاعر:

وعين الرضى عن كل عيب كليلةٌ لكنّ عين السخط تبدي المساويا

٢٠ ـ الإحسان إلى المسيء.

ربما يعجز الإنسان أن يمسك لسانه من الفلتات، وكلّما جاهد نفسه على تَرْك غيبة شخص مثلاً؛ تذكَّر مواقف سيئة منه، فيتوقَّد قلبه، وتضطرب نفسه، فيهذي لسانه بغير هدى، ولو أنّه حاول الإحسان إلى هذا الإنسان. فلربما جاء معتذراً عن أخطائه، وتغيَّر سلوكه، فانقلب البغيض إلى حبيب، والعدوّ اللدود إلى صديق حميم، يقول سبحانه وتعالى:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[1] ويقول عليه الصلاة والسلام: «أَحْبِب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»[2].

وليكن في قلبك ونفسك قوله ﷺ: «صِلْ مَن قَطَعك، وأحسِن إلى من أساء إليك، وقُلِ الحقّ ولو على نفسك»[3].

٢١ ـ تحذير اللسان من الوقوع فيما يُعتذر منه.

ولا يكون هذا إلا في تجنُّب كل مشين، والابتعاد عمّا لا ترضاه لنفسك، فكل ما يوقعك في بسْط الأعذار فاجتنبه، فإنّ المعاذير لا تكاد تخلو من الكذب، ومن الأمثلة على ذلك، أنّ شخصاً قد يعاتب أخاه على قلّة الزيارات، فيقول له: «لقد كانت زوجتي مريضة»، والصواب أن الزوجة مرضت لمدة أيام، ولكن صاحبنا هذا كان غيابه عن أخيه أكثر من شهرين.

أو أن إنساناً عاتب أخاً له على تأخّره في الرسائل، وقد مضى على تأخره أربعة أشهر، فيعتذر له بأن كان مشغولاً، وهو يعلم أن كثيراً من أوقاته يقضيها في فراغ، وأن كتابة الرسالة لا يتطلب منه كثير وقت.

والأفضل أن ينظر المسلم لتصرفاته، ثم يسأل نفسه هل ستجرُّ هذه التصرفات إلى فلتات لسان؟ فإن كان هذا فليجتنب، حتى لا يقع في

---

(١) فصلت: ٣٤.

(٢) أخرجه: الترمذي، وابن عساكر، وغيرهما، وانظر «غاية المرام» برقم (٤٧٢).

(٣) رواه: أبو عمرو بن السماك في «حديثه»، وانظر: «الصحيحة» برقم (١٩١١).

الاعتذار، وإلا فليمض على بركة الله سبحانه.

ولنتأمل حديث رسول الله ﷺ؛ وهو يعالج النفوس خير علاج، فقد حذَّر عليه السلام عن كلِ ما يدعو لبسط الأعذار، حيث يقول عليه الصلاة والسلام:

«صَلِّ صلاة مُودِّع كأنّك تراه، فإن كنتَ لا تراه فإنّه يراك، وايأس ممّا في أيدي الناس تعِش غنياً، وإياك وما يُعتذر منه»[1].

علاج اللسان عند الغضب

أما علاج اللسان عند الغضب فهو:

أ ـ السكوت، لقوله عليه السلام: «إذا غضب أحدكم فليسكت»[2].

ب ـ إذا كان الغضبان قائماً فليجلس، وإن لم يذهب عنه الغضب فليضطجع، لقوله عليه السلام: «إذا غضب أحدكم وهو قَائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع»[3].

جـ ـ أن يقول: أعوذ بالله، لقوله ﷺ: «إذا غضب الرجل فقال: أعوذ بالله، سكن غضبه»[4]، لأنه إن لم يفعل هذا يُخشى عليه أن يتلفظ بألفاظ، لا يرتضيها هو لنفسه عند زوال الغضب.

---

(١) أخرجه: المخلّص في «الفوائد المنتقاة»، والطبراني في «الأوسط»، والقضاعي في «مسند الشهاب»، وغيرهم، كما في «الصحيحة» برقم (١٩١٤).

(٢) تقدّم.

(٣) رواه: أحمد، والترمذي، وهو في «المشكاة» برقم (٥١١٤).

(٤) أخرجه: الطبراني، وغيره، وهو في «الصحيحة» برقم (١٣٧٦).

وعن سليمان بن صُرَد قال: استبّ رجلان عند النبي ﷺ فجَعَل أحدُهما يغضب ويحمرّ وجهه، فنظرَ إليه النبي ﷺ فقال:

«إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[1].

من ثمرات حفظ اللسان[2]

١ ـ الفوز برضوان الله تعالى.

٢ ـ أنّه من أفضل المسلمين، لحديث أبي موسى (رضي الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سَلِم المسلمون من لسانه ويده».

٣ ـ أنّه من أحب الناس إلى النبي ﷺ وأقربهم منه مجلساً يوم القيامة.

٤ ـ أنه قد ضَمِن الجنّة، إذا حَفِظ فرجه أيضاً، كما في الحديث: «من يضمنْ لي ما بين لحييه وما بين رجليه، أضمنْ له الجنة».

٥ ـ أنّه ناج من عذاب الله تعالى، لقوله ﷺ: «من صمت نجا».

٦ ـ أنه من أفضل المجاهدين، كما في الحديث: «أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه فيَ الله».

٧ ـ العلاقة الطيبة مع الخَلق.

---

(١) رواه: البخاري «الفتح» (٦٠٤٨)، ومسلم (٢٦١٠) وهذا لفظه.

(٢) لم أذكر بعض الأدلة هنا، ولم أتكلم في تخريج ما ذكر، لتقدّم ذلك في مواطن متعدّدة من الكتاب.

٨ ـ إراحة النفس من المتاعب والهمِّ والمشاكل.

٩ ـ الفوز بحب الله تعالى، وحب أهل السماء، ووضع القبول له في الأرض، وذلك لقوله ﷺ: «إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحبُّ فلاناً فأحبَّه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يُوضَع له القبول في الأرض»[1].

من مساوئ عدم حفظ اللسان

١ ـ نيل غضب الله تعالى.

٢ ـ بغض الله تعالى، وأهل السماء، ووضع البغضاء له في الأرض، كما تقدم في حديث مسلم «إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحبُّ فلاناً، فأَحِبّه، فيحبّه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض.

وإذا أبغض عبداً، دعا جبريل فيقول: إنّي أبغض فلاناً فأبغضه، فيبغضه جبريل؛ ثم ينادي في أهل السماء، إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، ثم توضع له البغضاء في الأرض».

٣ ـ أنه من أبغض الناس إلى النبي ﷺ وأبعدهم منه يوم القيامة، لحديث النبي ﷺ: «... وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم منّي مجلساً يوم

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم، وسيأتي تمامه قريباً في (باب من مساوىء عدم حفظ اللسان).

القيامة الثرثارون، والمتشدّقون والمتفيهقون».

٤ ـ أنّه يُكبّ في النار على وجهه.

٥ ـ أنَّ الله تعالى يتتبع عورته ويفضحه، ولو في جوف بيته.

٦ ـ أنه يُطالب بحقوق الناس يوم القيامة.

٧ ـ العلاقة السيئة مع الخلق والابتلاء بالهموم والمتاعب.

٨ ـ أنَّه مهدد بالران كما تقدم.

٩ ـ أنَّه مهدّد بسوء الخاتمة.

١٠ ـ أنَّه يُعذَّبُ في قبره، كما في حديث ابن عباس عن النمام.

أقوال طيبة في ذم اللسان، والأمر بحفظه[1]

ـ المؤمن يُقلُّ الكلام ويكثر العمل، والمنافق يكثر الكلام ويُقلّ العمل.

ـ لا أندم على ما لم أقُل، وقد أندم على ما قُلْت.

ـ ما لم أتكلم بالكلمة، فأنا أملكها، فإن تكلمت بها ملكتني.

ـ أنا على ردِّ ما لم أقل؛ أقدر مني على ردِّ ما قلت.

ـ العجب ممَّن يتكلَّم بكلمة؛ إن هي رُفعت ضرَّته، وإن لم تُرفع، لم تنفعه.

---

(١) أُسندت بعض الأقوال لبعض الصَّحابة (رضي الله عنهم) وغيرهم، وخشيت ألاّ تصحَّ النسبة، فأوردْتُها محذوفة الإسناد، غير معزُوّة لأحد؛ إذ الهدف هو الانتفاع بهذه الأقوال الموافقة للكتاب والسنة.

ـ إنَّ لسان الحكيم من وراء قلبه، فإذا أراد أن يقول، رَجع إلى قلبه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك، وإن الجاهل قلبه على طرف لسانه، لا يرجع إلى قلبه، ما أتى على لسانه تكلّم.

ـ العلم زين والسكـوت سلامـة ... فإذا نَطَقْـت فلا تكـن مكـثـارا
ـ ما إن ندمتُ على سكـوتي مرَّة ... ولقـد نَدِمْتُ على الكـلام مرارا
ـ يمـوت الفتى من عثـرة بلسـانه ... وليس يموت المرء من عثرة الرجل

ـ الصمت عبـادة من غير عناء، زينة من غير حليّ، هيبة من غير سلطان، به تستغني عن الاعتذار، وبه تستتر عيوبك.

ـ ليس في الجسد مضغتان أطيب من القلب واللسان إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبُثا.

ـ من كثرُ كلامه، كثرُ سقطه.

ـ اجعلوا الكلام كلمتين، كلمة نافعة في أمر دنياكم، وكلما باقية في أمر آخرتكم.

ـ وقيل لأحدهم: إنَّ فلاناً قد اغتابك، فبعث إليه طبقاً من الرطب وقال: بلغني أنك أهديت إليَّ حسناتك، فأردت أن أكافئك بها فاعذرني، فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام.

ـ مَن تَرَك ذكر الله تعالى، واشتغل فيما لا يعني، كان كمن قدر على أخذ جوهرة، فأخذ عوضها مدرة[1]، وهذا خسران العمر.

---

(١) في «لسان العرب»، المدر: قطع الطين اليابس، وقيل: الطين العلك الذي لا رمْل فيه، واحدته مدرة.

ـ الغيبة ضيافة الفساق.

ـ وذَكَر رجل آخر بسوء أمام صاحبه، فقال له: هل غزوت الروم؟ قال لا. قال: سَلِم منك الروم، ولم يسلم منك أخوك المسلم؟!

ـ إن ضعُفت عن ثلاث، فعليك بثلاث. إن ضعُفت عن الخير، فأمسِك عن الشر، وإن كنت لا تستطيع أن تنفع الناس، فأمسِك عنهم ضرّك، وإن كنت لا تستطيع أن تصوم، فلا تأكل لحوم الناس.

ـ قال الشاعر:

متى تُطبق على شفتيك تسلم ... وإنْ تفتحهما، فَقُل الصوابا
فما أحد يطيل الصمت إلا ... سيأمن أن يُذلّ وأن يُعابا

ـ القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها.

ـ من العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والسَّرقة وشرب الخمر، ومن النظر المحرّم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يُشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يزلّ بالكلمة الواحدة أبعد مما بين المشرق والمغرب[1].

ـ لما كانت العثرة عثرتين: عثرة الرجل، وعثرة اللسان. جاءت إحداهما قرينة الأخرى في قوله تعالى: ﴿وَعِبادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً﴾[2] فوصَفهم بالاستقامة

(١) عن ابن القيم رحمه الله في كتابه «الجواب الكافي».
(٢) الفرقان: ٦٣.

في لفظاتهم وخطواتهم[1].

وفي اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت. وقد تكون كل منهما أعظم إثماً من الأخرى في وقتها. فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاص الله، مُراء مداهن، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاصٍ لله[2].

ـ إذا أردت الكلام ففكر، فإن ظهر أنَّه لا ضرر فتكلّم، وإن ظهر أن فيه ضرراً، أو شككْت فيه، فأمسك.

ـ لا حَجَّ ولا رباط ولا جهاد أشدّ من حبس اللسان.

ـ مَنْ عَدَّ كلامَه من عمله، قلَّ كلامه إلاَّ فيما يعنيه.

ـ الصَّمت يجمع للرجل فضيلتين: «السلامة في دينه، والفهْم عن صاحبه».

ـ يعجبني أن أرى عقل الكريم زائداً على لسانه، ولا يعجبني أن أرى لسانه زائداً على عقله.

ـ قلب الأحمق في فمه، وفم الحكيم في قلبه.

* * *

---

(١) نفس المصدر.

(٢) «الجواب الكافي» لابن القيم، بحذف يسير.

الفهرس

المقدمة ٥
من الأدّلة الآمرة بحفظ اللسان ٩
كفّ اللسان جهاد بل من أفضل الجهاد ١٢
أخوف ما يخاف، رسول الله ﷺ على الإنسان من اللسان ١٤
كيف كان لسان رسول الله ﷺ ١٥
لسان المؤمن ١٦
أمر رسول الله ﷺ بالتعوّذ من شر اللسان ١٧
الترغيب في الصمت إلا عن خير، والترهيب من كثرة الكلام ١٨
الإمساك عن حصاد اللسان يُعَدُّ من الصدقات ٢١
حفظ اللسان شرط لدخول الجنّة ٢٢
الصيام من اللغو والرّفث ٢٢
وجوب التبيّن قبل الكلام، والتثبّت فيما يقوله المرء ٢٢
ما الذي يجب أن تفعله أمام من يذكر المسلم بالسّوء ٢٥
إلى من لا يُحسن نقل الكلام وتبليغه ٢٦

عاقبة الظلم ٢٦
صداقة الحاصدين بألسنتهم من ضعف الإيمان ٣٠
الرّان من ثمرات عدم حفظ اللسان ٣٠
الذي لا يحفظ لسانه مهدّد بسوء الخاتمة ٣١
خطاب مُرعِب من رسول الله ﷺ للحاصدين ٣١
كراهية الله تعالى لحصائد الألسن ٣٢
الذي لا يحفظ لسانه، أبعد الناس عن الرسول ﷺ
وأبغضهم إليه يوم القيامة ٣٢
حرمان الخير بسبب اللسان ٣٣
الحاصدون بألسنتهم مفاتيح شر ٣٤
أمراض يعاني منها الحاصدون بألسنتهم ٣٥
هل يكبّ النَّاس في النَّار على وجوهم إلاَّ حصائد ألسنتهم؟ ٤٥
ما هي حصائد الألسن؟ ٤٧
الشرك ومظاهره ٤٧
الكذب على الله تعالى والكذب على رسوله ﷺ ٤٨
الفتوى بلا علم ٥١
الحُكم والتحاكم بغير ما أنزل الله تعالى ٥٤
النّذر لغير الله تعالى ٥٧
التوجّه بالدعاء لغير الله سبحانه وتعالى ٥٨
تحريم الاستسقاء بالأنواء ٥٩
كُفر النعمة ٦٠

سؤال الكهان والعرّافين ٦٠
الحلف بغير الله تعالى ٦١
الاستعاذة بغير الله تعالى ٦٢
النهي عن قول ما شاء الله وشاء فلان ٦٢
الحلف بالله كاذباً ٦٣
الكفر بإنكار اسم من أسماء الله تعالى، أو صفة من صفاته ٦٣
الكفر بالسبّ ٦٣
إنكار القدر ٦٤
النهي عن المراء في القرآن ٦٥
البدع ٦٥
اليمين الكاذبة عمداً ٦٦
شهادة الزور ٦٧
القذف ٦٨
المسلم يستر على أخيه المسلم ٧٠
ما الذي يجنى من عدم الستر؟ ٧١
البهتان والافتراء ٧٢
التوبة من البهتان والافتراء ٧٤
عظم حرمة المؤمن ٧٥
المؤمن أعظم حرمة من الكعبة ٧٥
الكذب ٧٦
الحالات التي يُباح فيها الكذب ٧٨

ما لا يحسبه الناس كذباً ٧٩
النّميمة ٨١
ليس من النّميمة ٨٣
ما يجب في ردّ النميمة كما في إحياء علوم الدين ٨٣
الغيبة ٨٤
ما هي الغيبة ٨٥
الإجماع على تحريم الغيبة، وأنها من الكبائر ٨٥
من الأسباب الباعثة على الغيبة وعلاجها ٨٥
ما يباح من الغيبة ٨٨
الأمور التي ينبغي مراعاتها عند الغيبة المباحة ٨٩
أمور لا تُظنّ أنها غيبة، وهي غيبة ٩٠
إفشاء السرّ ٩١
إفشاء السر خيانة ونفاق ٩٣
ناشر السرّ لا يعافى ٩٣
تحريم نشر أسرار الوقاع بين الزوجين ٩٤
النفاق ٩٥
السخرية والاستهزاء والتنابز بالألقاب ٩٦
مقاطعة الكلام ٩٨
من سلبيات مقاطعة الكلام ١٠١
الغناء ١٠١
الشعر ١٠٤

المزاح ١٠٧
من مزاح رسول الله ﷺ ١٠٨
نهي المرء أن يتحلى أو يتشبع بما لم يُعطَ ١١١
نهي المسلم أن يخطب على خِطبة أخيه حتَّى يذر ١١٢
النهي عن البيعة على بيعة أخيه ١١٣
الجدال والمراء واللدد ١١٣
طلب الولاية ١١٥
تحريم سبّ الصحابة ١١٥
تحريم سبّ المسلم ولعْنه ١١٨
أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه ١٢٠
متى يُباح السباب ١٢١
تحريم التعيير والتوبيخ ١٢٢
ما وَرَد في الدعاء على النفس والأولاد والأموال ١٢٤
تحريم الخيانة في النصحية ١٢٦
تحريم احتقار المسلمين والسخرية بهم ١٢٦
تحريم قول العبد هذا من أهل الجنة، أو من أهل النار
والتألي على الله تعالى ١٢٧
تحريم الطعن في الأنساب ١٢٨
تحريم الفخر بالأنساب ١٢٩
النهي أن يدّعي المرء إلى غير أبيه أو ينتمي
إلى غير مواليه ١٣٠

النهي عن الفحش وبذاء اللسان ١٣١
تحريم الاستغفار للمشركين والكفار ١٣٢
الفجور عند الخصام ١٣٣
ما جاء في الشرط ١٣٣
تحريم القول إني بريء من الإسلام ١٣٤
ما جاء في القصاص ١٣٤
النهي عن تكلم المرء فيما لا يعنيه ١٣٥
النهي عن المنّ بالعطية ١٣٧
تحريم الهزل بالنّكاح والطلاق والرجعة والعتق ١٣٨
نهي المرأة أن تسأل زوجها الطّلاق من غير ما بأس ١٣٩
تحريم سبّ الأموات ١٣٩
تحريم النياحة على الميت، والدعاء بالويل والثبور ١٤٠
تحريم القول لمسلم يا كافر، يا عدو الله، ونحو ذلك ١٤٠
نهي المرء أن يقول لصاحبه: «تعالى أقامرك» ١٤١
النهي عن قيل وقال ١٤١
ما جاء في زعموا ١٤١
في المسألة ١٤٣
النهي عن التقعير في الكلام والتشدّق فيه وتكلّف الفصاحة ١٤٥
نهي المرأة عن نعت المرأة لزوجها ١٤٦
النهي عن البؤس والتباؤس ١٤٨
زنا اللسان ١٤٨

النهي عن مخاطبة المنافق بسيِّد ونحوه ١٤٩
النهي عن التزكية ١٤٩
النهي عن المدح في الوجه ١٤٩
النهي عن العودة في الصدقة ١٥٠
النهي عن لفظة لو ١٥١
الحلف في البيع ١٥٣
النّهي عن التحدّث بتلعب الشيطان في المنام ١٥٣
ما جاء في سبّ الشيطان ١٥٤
النهي عن قول تعس الشيطان ١٥٤
ما ورد في شتْم الكفّار وآلهتهم ١٥٤
ما جاء في التحلّم كاذباً ١٥٥
تحريم النّذر في معصية الله تعالى ١٥٥
كراهة القول خبثت نفسي ١٥٦
كراهة تسمية العنب كرماً ١٥٦
النهي عن التكلم والإمام يخطب الجمعة ١٥٦
النهي عن سب الدّابة ١٥٦
النهي عن سب الريح ١٥٧
النهي عن سب الديك ١٥٨
تحريم سب الدهر ١٥٨
كراهة سب الحمى ١٥٨
النهي عن نشد الضالة والبيع في المسجد ١٥٩

النهي عن قول: شاهنشاه للسلطان ١٥٩
اللسان ملاك الخيرات ١٦٠
كيف تكون التوبة حصائد الألسن؟ ١٦٠
علاج اللسان ١٦١
علاج اللسان عند الغضب ١٧٢
من ثمرات حفظ اللسان ١٧٣
من مساوىء عدم حفظ اللسان ١٧٤
أقوال طيبة في ذم اللسان والأمر بحفظه ١٧٥
الفهرس ١٧٩

***